فى عالَم المَلَّذات

● حب الدنيا وكراهية الموت :

من أخلاق الضعة التى رمانا بها الاستعمار قديماً ، الشره فى طلب اللَّذائذ ، والرغبة فى الراحة دون عمل ، ونيل المغنم القريب من غير مغرم يُبذل ، وقعود الهمم عن الآمال العِراض والمطامح العظام ، مع إدمان غريب للشهوات الدنيا ، وتتبع للعورات وتصور ظالم للمرأة وأنواع المتع .... إلى غير ذلك من ذرائع الهزيمة الى لا تُتاح معها نهضة ، ولا ينجح فى ظلالها سعى ...

وفى مصر يَسَّرَ الاحتلال البريطاني - للعوام وللمثقفين على سواء - أن يرتعوا فى هذه الدنايا ، وأن يحيوا داخل نطاقها كما يحيا بعض الحيوان داخل القواقع ....

فانتشرت الحانات فى قرى الريف وأحياء المدن .

وأُبيح البغاء ، والوقاع الحيواني .

واحمرت الليالى أكثر العام بالسهر النجس ، وألوان الإثم التى يفتَّن فيها الفارغون ...

وانضم إلى ذلك - بل سبق ذلك - إخلاء الحياة العامة من رسالة تنتظم فيها المشاعر ، وتجنَّد لها الجوارح ، وينشغل الجميع بأعبائها ، يوفرحون لما يصيبها من نصر ، ويكتئبون لما يلحقها من انهزام .

نعم .. سبق ذلك أن طمس الإضلال الأجنبى معالم الدين الحق ، وترك الناس يموج بعضهم فى بعض .

أليس ذلك ما يبغيه ، حتى يخلو له الجو فى البلاد التى افتتحها ؟ فينهب من خيرها ما يشاء ؟

ولن يكون أهلوها - وتلك حالهم - إلا أدوات فى يده يستخدمها متى يشاء ، ويرميها أو يكسرها إذا أحب .

لقد أصبحوا عبيد شهواتهم أولاً ، وعبيده أخيراً ... ! !

ويجب أن نُفرِّق بين تتبع الدنايا - كما تعلَّم كثير منا فى مدرسة الاستعمار - وبين ما يقع فى أوروبا وأمريكا من هذا القبيل .. !

إنَّ الغربيين أهل كدح ولغوب وراء معايشهم ، وقد قدَّموا من التضحيات فى خمسين سنة ما لا يُعرف لغيرهم من أهل الأرض . ! !

ولأضرب مثلاً بفرنسا ، التى كنا نهتف ضدها فى المظاهرات فنقول : فرنسا العاهرة ...

هذه الأمة الفرنسية دخلت حربين كبيرتين خسرت فيهما ما لا يُحصى من العتاد والرجال .

ومنذ انتهت الحرب العالَمية الثانية ، وهذه الأمة تشتبك فى حروب متصلة من الهند الصينية إلى الجزائر .

وميزانيتها مرهَقة بنفقات هذه الحروب ، وشبابها يحملون السلاح ويردون الغمرات .

ومع أنَّ هذه الحروب أشعلتها المطامع واستدامها البغى والعدوان ، فإنَّ الأمة الظالمة تئن من سيل الدم المسفوك والمال المراق .

والأمم التى تألف المصائب على هذا النحو ربما استباحت من المباهج والمرفهات مما يخفف عنها شيئاً من ألم الكفاح الدائم ...

وأنا أتصور الأحوال النفسية التى ينشد فيها الأشقياء والمعنون بعض ما يكسر سَورة التعب حولهم .

وقد يطلب المقاتل من هؤلاء - وهو ذاهب إلى الموت - أن يستمتع بالنساء قدر ما يستطيع .

بل إننا نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول : إنَّ العمال والموظفين فى أيام السلم يشتغلون ساعات أكثر مما يشتغله أمثالهم هنا فى الشرق .

ورغبتهم فى الاستجمام والترفيه بعد هذه المتاعب قد تُفهم ، وإن ضلوا إليها سُبل الحلال ..

لكن الذى ما فهمته قط ، ولا أفهمه أبداً ، أن يجىء شعب متراخ موفور الدم خفيف المناكب ، فيطلب من الملّذات مثل أو أكثر مما يطلبه العانون المرهَقون ...

إنَّ العربى فى بطحاء مكة يريد أن يوفر لنفسه من ألوان النعيم وصنوف المشتهيات ما لا نظير له فى « نيويورك » ، وما لم يطلبه لأنفسهم الرجال الذين فَجَّروا الذَرَّة ! ! .

سبحان اللّه

قاعد حافى القدمين صِفر العقل ، لا همَّة له من الدنيا إلا أن يستجلب من اللذاذات ، ويقتنى من العمارات ما لم يحلم به العباقرة الذين نهكتهم الأفكار والأشغال ؟ ؟

إن هذه الحال من عشق الدينا أقوى ذرائع الفتك فى كياننا المريض .

وهى حال يشجعها الاستعمار الذى غزا الشرق بعقلية اللص ! !

فليس يهمه إلا أن يعامل مغفلين ذوى شهوات نزقة ! ! !

أتُرى الاستعمار يألم لأن « الخديوى إسماعيل » أسس دار « الأوبرا » فى القاهرة ، وأنَّ تفكيره جرى إلى ذلك قبل أن يجرى إلى تأسيس مصنع نافع ؟ .. كلا !

إنه يهتم بمعاملة مثل هذا الحاكم ، ويريد أن تسرى روحه إلى كل فرد فى الشعب ! !

بل إنه سلَّط سماسرته وزبانيته لدفع الشعوب العربية فى هذه السبيل الوسخة .

وحالف فى هذه السبيل ، الكُتّاب والصحافيين والمبشرين كى يبنوا المجتمع الإسلامى على هذه الدعائم المنهارة ، وكى يصوغوا أفكار الشباب وآماله ، فإذا هى لا تعدو ذلك العبث الصبيانى فى اصطياد امرأة وإجابة نزوة ..

هذه هى الأهداف المعنوية التى يسعى الاستعمار لبثها .

أمراض الرجولة وإسقاط مستواها وإهاجة الغرائز السافلة ، وتنمية الحيوان الرابض فى الدماء ، وإضعاف الروح الإنسانى المخنوق ، وتمريغ الإسلام فى الوحل إن هو هَمَّ بكلمة اعتراض ، أو بدت عليه علامة امتعاض وتجرىء الأُجراء من بنين وبنات على سلقه بلسان حاد .. كل ذلك جزء من خطة الاستعمار لخلق أُمة تلين فى يده وتخلو من أصحاب الأخلاق القوية والسِيَر القويمة والهمم البعيدة .

وكثيرا ما أرمق الرجال والنساء فى ميادين القاهرة الكبرى كما يرمق الطبيب أعراض مرض انتشر فى كل فج .

مرض اختفى من شره بقدر ما طفح من ضره ، يحتاج علاجه إلى جيش من الأساة قد يستعملون مباضعهم للبتر حتى يصونوا الحياة ، ويقصوا أسباب العِلّة ويفتحوا أبواب الحياة ! !

إنّ انهيار الرجولة فى الشرق الإسلامى أمام طوفان اللّذة الحيوانية التي يبعث بها الغرب ، ويُسخِّر أدوات لا تُحصى فى نشرها .

هذا الانهيار هو تأمين الحياة للاستعمار ، وبذر الجراثيم التى تدعو للعودة إن هو ذهب .

وما لم نستكبر على هذه الرغبات ونطرحها وراء ظهرنا ، ونتبع فى شأنها تعاليم ديننا فلن تصح لنا حياة ولا حرية ، ولن تسلم لنا كرامة أو عزة ..

والمعروف أنّ الإسلام يجعل الرجال قوّامين على النساء .

حتى جاء الاستعمار فزعم لنا أنَّ الرجال والنساء سواء . !!

والله يعلم أنَّ هذه التسوية لم يُقصد بها تكريم المرأة أو دعم جانبها ، وإنما قصد استدراجها من حصنها لمآرب شتَّى ...

ليكن الأمر كما زعموا .. فما حدث ؟

إنَّ الرجل والمرأة - فى دنيا الفرنجة - سواء فى الظاهر .

ولكن فى كثير من الأحيان تبرز الفِطرة الإنسانية وتغلب تزويرات البَشر ، فإذا المرأة تتملق الرجل وتسير وراءه .

وتحرص على مرضاته إن كان زوجاً ، وعلى خدمته إن كان أباً ، وعلى تربيته إن كان ولداً ..

أما فى الشرق الذى أمرضه الاستعمار - أو على الأصح فى البيئات التى خلقها هنا وهناك - فإنَّ الرجل ليس قوّاماً على المرأة ، ولا مساوياً لها .

إنها هى القوّامة عليه ، إنه يتملقها ويطلب رضاها .

ويلقنه « أهل الفن » أنواع الآهات التى ترقق قلبها لتسمح بنظرة .

إنه يكاد يسرق ليعطيها ، أو ليظهر فى لباس يسرها ...

إنه تابع لا متبوع ، والرجل العبد فى بيته لا يكون سيداً فى وطنه .

وهذا الصنف من المخنثين لا يصلحون - بداهة - لكفاح ويستحيل أن يصنعوا مجداً ...

وهذا الصنف هو - للأسف - ثمرة الأقلام التى لا ينقطع لها توجيه فاسد فى أغلب صحفنا .

ولعمرى إنَّ حملتها شر على البلاد من باعة الحشيش وبقية المخدرات ...

والرذائل فى بلاد ارتفع مستواها المادى والعلمى تحتف بها أحوال مخففة ويستخدم الرقى الثقافى فى تخفيف وطأتها واستدراك آثارها .

أما فى المجتمع المتخلف فإن الرذائل الخُلُقية والجنسية تولد مضاعفة السماجة والآثام .

ومن ثَمَّ نرى الفرنجة يقارفون رذائلهم فى شىء من الصمت وفى صورة مخففة النُكر .

أما الرعاع والمتعلمون فى بلادنا فلو رأيتَ نظراتهم الجائعة ومتابعتهم النساء بالغزل الرقيع والألفاظ الخادشة ما اقترحت علاجاً لهذه الأدواء إلا العصا التى تُذاد بها الدواب !!

إنَّ الخلاعة التى انتقلت إلينا من الغرب فتكت بنا أكثر مما فتكت به ، لأنَّ جرثومتها سرت دون مقاومة .

أما هم .. فلديهم شىء من المناعة أحدثها تقدمهم الكبير فى شتَّى الميادين .

وكل يوم يمر تزداد مقادير الخلاعة التى تُزوِّدنا بها مصادر التوجيه من صحافة وإذاعة ومسرح ، فى الوقت الذى تقل فيه أسباب المناعة العلمية والدينية .

ومن المؤسف كذلك أنَّ روح التطلع إلى اللَّذة رمت أفواج الموظفين وأمثالهم بالخمول والاستكانة .

فهم يحبون المدن ويمقتون القرى .

لماذا ؟ لأن القرى فقيرة فى وسائل اللَّهو .. حلاله وحرامه .

وهم لم يتعلموا إلا ليكون لهم مستقبل لاه لعوب !!

فإذا أقاموا فى القرية كرهاً فليس للقيام بالرسالة النبيلة التى وُظِّفوا لها ومُنِحوا المرتبات لقاءها .. كلا !

الطبيب يريد جمع المال .

والمهندس الزراعى يرفض الذهاب للحقل .. وهكذا .

بينما نرى المغامرة خُلُقا ينضح به المجتمع الغربى ويجعل الهمم تباعد بين أبنائه ، فما تخلو منهم بقعة خشنة فى أرض الله .

ألا فلنحذر على ديننا ودنيانا هذه الميوعة الخسيسة التى اعتلّت بها أمتنا !!

ومتى اعتلّت بها هذه الأمة ؟

فى أحرج الفترات من تاريخها وأشد الأزمات إمساكاً بخناقها .

فى الأيام التى ينبغى أن يخشوشن فيها المنعَّم ، وينتبه فيها الوسنان ، ويخاطر فيها الحَذِر ..

إنَّ معركة الإسلام مع الاستعمار لما تبدأ ، وتوشك أن تدور رحاها ، ونطالَب بأعبائها الثقال ..

ولن يستطيعها المختالون فى أزيائهم من الشبان الناعمين ، ولا المشغوفون بلذاذاتهم من أشباه الرجال .

إنَّ الأجيال المنهزمة تلحقها علّة واحدة .

ولذلك تلحظ عليها أعرضاً متشابهة ، وإن اختلف المكان والزمان .

فى زحف الصليبية القديم على الشرق الأوسط ، أمكن المهاجمين أن ينفذوا أول الأمر إلى أحشاء الإسلام وصميم بلاده .

لماذا ؟ لأنَّ القوم شُغِلوا بالعيش الرخى ، والقعود اللَّين عن مغارم الكفاح المر. فكان أن ضربهم الله بالذل ، وسلّط عليهم الأعداء .

واسمع كيف يتحدث إليهم « أبو المظفر الأبيوردى » من قصيدة طويلة :

فإيهـــا بنـــى الإســـلام إنَّ وراءكم ... وقـــائـــع يلحقـــن الذُرا بالمناســـم
أتهـــويمـــة فـــى ظـل أمن وغبطة ... وعيش كنـــوّار الخميلة نـــاعـــم ؟
وكيف تنـــام العيـــن مـــلء جفونها ... علـــى هفـــوات أيقظت كـــل نائم ؟
وإخـــوانكـــم بالشأم يضحى مقيلهم ... طهـــور المداكـــى أو بطون القشاعم
تسومهـــم الروم الهـــوان وأنتـــم ... تجـــرُّون ذيـــل الخفض فعل المسالم
وكـــم مـن دماء قد أُبيحت ومن دمى ... تـــوارِى حياء حسنها بالمعـــاصـــم
يحيث السيـــوف البيض محمرة الظبا ... وسمر العـــوالـــى ذاميـــات اللهاذم
وبين اختـــلاس الطعن والضرب وقفة ... تظـــل لها الولِـــدان شيب القـــوادم
وتلك حـــروب مَـــن يغب عن غمارها ... ليسلم يقـــرع بعـــدها ســـن نـــادم
يكـــاد لهـــن المستجَّـــن بطيبـة ... ينـــادى بأعلـــى صـــوته يا لهاشم
أرى أُمتـــى لا يُشرعـــون إلى العدا ... رمـــاحهـــم والدين واهـــى الدعائم
ويجتنبـــون النار خـــوفاً مـــن الردى ... ولا يحسبـــون العار ضـــربـــة لازم
أترضـــى صناديـــد الأعاريب بالأذى ... ويقضـــى على ذاك الكماة الأعاجم ؟

* * *

قليتهـــم إذ لـــم يـــذودوا حميَّـــة ... عـــن الدين ضنُّـــوا غيـــرة بالمحارم
وإذ زهدوا فى الأجر إذ حمس الوغى ... فهـــلاً أتـــوه رغبة فـــى المغانـم
دعـــوناكـــم والحـــرب تـــرنو مُلّحة ... إلينا بألحـــاظ النســـور القشاعـــم
تـــراقب فينـــا غـــارة عـــربيـــة ... تطيـــل عليها الروم عض الأبـاهـــم

وأين أبو المظفر الآن يستحث العزمات بمثل هذا الشِعر ؟

إنَّ هذا اللَّون من الكلام الجيد والتوجيه الحق خفت وخرس رجاله .

وقام بدلاً عنه نفر من الصحفيين - لا بارك اللّه فيهم - يُسخِّرون أقلامهم فى ترويج الباطل وإهاجة الشهوات .

كسدت سوق الأدب الرفيع ، والقراءات العالية ، والأغراض النبيلة ...

وقامت مكانها سوق للكتابات الدنسة ، المفضوح ، أو الأدب المكشوف - كما يقولون .

وصُرِفَ الشباب صرفاً عن ميادين التربية الجادة ، والتعاليم الصارمة والحدود البيِّنة ليفتح عينيه وأذنيه على ضرب من الكلام يتملق نزواته ويدفعها دفعا إلى مغامرة بعد أخرى ...

كأنما أقلام هؤلاء الكُتَّاب المحدثين أهوية تمس الشهوات الدنيا فتزيدها وهجاً، وتملؤها ضراماً ...

هذه الأقلام الرقيعة لا تعرف الشدة إلا فى مجال واحد . هو يوم تدخل مع الإسلام فى عراك ، عندئذ تضرب بقسوة ، لا تخاف عقبى ، ولا ترهب قصصاً ...

أما هى من قبل ومن بعد ، فسابحة فى بحرها الرحب العميق ، بحر الحب والغرام ، وما يحويه هذا البحر من عرى وانطلاق ...

ولا بأس من إثبات مثل لهذا الأسلوب الجديد فى توجيه الشباب .

ولولا أنى واثق من حصانة قرائى ما استبحتُ أن أثبت هذا اللغو الحرام ، وهو من آثار الصحفى المعروف « إحسان عبد القدوس » [1] .

والأستاذ « إحسان » تجد - أحياناً - فى كتاباته السياسية والاجتماعية روح شباب متوثب .

---

(١) هذا العرض من كتاب « سقوط القاهرة » لعبد المنعم شميس .

ولكن حين شاء أن يكتب أدباً قدَّم للناس كتاب « صانع الحب » .. ثم كتاب « بائع الحب » ....

والكتاب الأخير هو موضوع حديثى معك .

هذا الكتاب تقليد لكتاب الأستاذ : « التابعى » .

فـ « إحسان » يتحدث أيضاً عن نساء عرفهن فى مصر وفى أوروبا ، وصوَّر مغامراته معهن تصويراً أكثر وضوحاً من تصوير أستاذه التابعى ...

استمع إليه يقول :

« وكانت شفتاها تترنحان وتركت نفسها له .. وتركته يلصق خدها بخده ، يصهر جيدها بأنفاسه ، ويزحف بشفتيه ليلقى بقبلات صامته فى أذنيها ، ويضغطها إلى صدره حتى لم يعد يفصل بينهما سوى خيط أرق من الشَعرة » .

ويستمر الكاتب فى وصف المغامرة قائلاً :

« وغابا فى قُبلة .. ولم تكن قُبلة ناعمة ، بل قُبلة امرأة فى الخامسة والثلاثين ، فقدت العقل ، ونسيت الزوج والولد ، ونسيت المركز ، ونسيت تقاليد عائلة عريقة .

نسيت أو تناست كل ذلك ، وتركت نفسها تُفرِّج عن الكبت الذى طال أمده وتَنفَّس عن الجسد الذى طال حرمانه ، وتهب ساعة للدنيا بعد أن عاشت عمرها للسماء » .

ولعلك قد أدركتَ أنَّ الكاتب يُصوِّر لك مغامرة مع امرأة متزوجة ، ولها ولد فى التاسعة من عمره .. يرى أُمه تسقط فى أحضان الرجل الغريب ...

وهذه الأم تقول على لسان الكاتب :

« لقد لمحنا ابن صديقتى صباح أمس وأنا أُقبلك فى الزورق ، فأسرع إليه وقال له :

« إلحق .. إنَّ أمك ستتزوج المصرى فقد رأيتهما فى زورق ورأيتها تُقبِّله » ! .

فى هذا التصوير كله أراد الكاتب أن يطلعك على حياة امرأة عشقها تحت سمع ولدها الذى عذبته الغيرة .

وهو يعرض عليك ألواناً من المغامرة فى منتصف اللَّيل وفى النهار ، وفى الحدائق والزوارق ، ثم يتركها أخيرا للسقوط والانحلال .

وهناك امرأة أخرى يعرضها عليك الكاتب .. امرأة تقول :

« لا تحاول أن تكون إنساناً ، إنك حيوان .. كلنا حيوانات ...

ومن حقك أن تطالب بحقوق الحيوان .. ولكنك حيوان جميل .

إنك تعجبني ، هل تعلم ذلك ؟ .. هيا بنا .. غرفتك أم غرفتى » ؟!

وهو يُلقى عليك درساً فى فن إيقاع الفتيات على طريقة أستاذه التابعى فيقول لك :

« وفى المساء تستطيع أن تجلس فى قهوة « جامبرنيوس » لتستمع إلى أقوى « كونشرتو » فى قهاوى إيطاليا حتى اليوم ...

وبين ألحان « ڤيردى » و « شوبان » و « تشايكوڤسكى » تستطيع أن تلتفت إلى جارتك وتبادلها التحية ، وأن تُبدى رأيك فى عازف الكمان ، وفى قارع الطبل ، وتثنى على الموسيقار « ڤيردى » الذى وضع لحن السلام الملكى المصرى ... وبعد هذا أنت وشطارتك » !!!

وهو لا يكف أيضاً عن وصف النساء فى مباذلهن ...

« كانت مرتدية قميص نوم ، فاضحاً عن جسدها البرىء ، وهو قميص نوم أختها الكبرى .

وكانت مسدلة شَعرها فوق عينيها فى فوضى مثيرة ، وكانت عارية القدمين وبين يديها زهرة بيضاء !

وأغلقت الباب وراءها ، وأسندت ظهرها إليه ، وقد انفرجت شفتاها عن دعوة صامتة مكبوتة » .

وهو يصوِّر لك ألوانًا من شذوذ النساء ، فهذه المرأة ...

« ركلت الملايين وركلت اليخت ، وركلت أمريكا ، واكتفت بأن تجلس كل مساء فى مقهى « دى بونت » بين فريق من زنوج السنغال ، وتختار من بينهم كل ليلة زنجياً !

وليست حسناء اليابان وحدها هى التى تُفضِّل زنوج السنغال بوجوههم الكالحة المغبرة وشفاههم الغليظة المشوهة ...

فالزنوج قد أصبحوا « مودة » فى باريس ، محبوبو الحى اللاتينى كلهم زنوج . ومواكب العشاق كلها « أبيض وأسود »

ومن النادر أن تجد زوجين من البيض أو زوجين من السود » .

هذا الصنف من النساء الساقطات فى مهاوى الرذيلة ، ليس غريباً أن تقول واحدة منهن على لسان المؤلف :

« لا تكن عنيداً ... ماهو الزواج ؟ لا شىء ... ورقة بلهاء تستطيع أن تمزقها متى شئت ، ولكنها ورقة تجعل لها الحكومات قيمة لأنها حكومات بلهاء أيضاً .

وبهذه الورقة أستطيع أن أدخل مصر وأن أقيم فيها وأن أعمل فى مسارحها ».

ثم تقول أيضاً :

« إذن فقد أصبح لك حق ارتفاق كل جسدى .. حق المرور حتى تصل إلى أملاكك فى قلبى هل نسيت القانون ! ؟

وابتسمت ، ولكنه لم يبتسم ، وحاول أن يستمر فى جدله .

وتركته يتكلم دون أن تستمع له ، ثم لفَّت زراعيها حول عنقه وهوت على شفتيه بشفتيها .. !!

وحاول أن يقاوم نفسه ولكنه لم يستطع فشرب من شفتيها حتى ارتوى .

ثم طاف بوجهها وعنقها وصدرها وذراعيها يُقَبِّل كل قطعة فيها ، ويملأ أنفه بعبير أنوثتها ، ويُفرِّج عن الكبت العنيف الذى عرفه منذ عرفها » .

وبعد هذه النماذج التى عرضتها عليك من كتاب « بائع الحب » تستطيع أن تدرك - فى يُسر - أنَّ مدرسة « التابعى » و « إحسان » قد آتت أكلها وأثمرت ثمراتها المرجوة فى المجتمع المصرى .

* * *

ما هذا الأكل ؟ وما هذه الثمرة ؟

انحلال أمة ، وفساد دين ، وضيعة مستقبل ، ومحو تاريخ !!!!

ذلكم ما تستهدفه عصابة ضخمة من حملة الأقلام فى القاهرة .

هذا اللَّون من الكتابات السافلة ! هو أحسن ما يتقنه أولئك الصحافيون الشرفاء .

وهو الغذاء الذى يُقدِّمونه للأجيال الجديدة .

الأجيال المكلَّفة بحرب إسرائيل !!

وهو غذاء يصنع البطولة التى ترفع اليدين والساقين فى أول لقاء ... !!!

* * *

الإذاعة والفن

أصبحت الإذاعة العامة جهازاً من أخطر أجهزة الدولة وأحقها بالدعم ، وأولاها بالرعاية والرقابة ..

إنَّ « الراديو » شيء بعيد الأثر فى حياتنا ، وصوته الهادر يغزو الآذان طوعاً ، أو كرهاً .

والكلمات المنبعثة منه تسمعها فى البيت ، وفى الطريق ، ويسمعها أولادك جميعاً على اختلاف أعمارهم .

ولمسة ساحرة لهذه الآلة العجيبة تجعل بين يديك مزيجاً هائلاً من أفكار الناس ومشاعرهم .

لا فى صحائف ميتة بل فى حركة تنبض بالحياة والشعور ، ومع أشخاص تحس كأنك معهم فى مدرسة علم أو مجلس سمر !

* * *

تعتمد برامج الإذاعات المختلفة فى تكوين مادتها وتخطيط غايتها على العنصرين الآتيين :

١ - التثقيف والتربية .

٢ - الترفيه والتسلية .

وتشمل برامج التثقيف جملة الدروس والمحاضرات والقراءات والنشرات الإخبارية والأركان المهنية والطائفية ... إلخ .

وتشمل برامج الترفيه جملة الأغانى والتمثليات والموسيقات والأحفال وأنواع اللّهو الأخرى .

وبرامج التثقيف - فى نظرنا - فقيرة مهوشة لا تقوم على خطة مرسومة .

بل هى - من ناحية كيانها المادى - أشبه بلقيمات من الخبز الجاف تُقدَّم إلى مريض منزوف الدم ، ضائع العافية ، يحتاج إلى أرطال اللحم والشحم والخضر والفاكهة .

إنَّ أمتنا تريد أن تعود سيرتها الأُولى .

تريد أن تستعيد أمجادها القديمة .

تريد أن تُعرف بين الناس بحضارتها المتميِّزة وملامحها الخاصة .

تريد أن تنتفض من الرقاد الطويل الذى خَدَّر أطرافها ، وأطمع الغزاة عصراً طويلاً أن يجوروا عليها وينالوا منها .

ومن الممكن أن تكون الإذاعة أداة ضخمة فى هذه السبيل .

وأن يكون صوتها الجهير فى الصباح والمساء موجهاً بعيد الأصداء ، يحدو القافلة السائرة ويقيمها على الصراط المستقيم .

ولا بد أن يتصل العمل على توضيح روح النهضة الجديدة لكى تمد الأُمة بما يرفع مستواها الفكرى والعاطفى .

وفى طليعة البرامج التى تحقق ذلك :

١ - تجلية تاريخنا القديم وعرض صفحاته الحافلة بالكفاح ، عرضاً يستهدف إحياء الحاضر وحل مشكلاته بهداية من عظات الماضى .

٢ - نفخ روح الحياة فى التراث العربى القديم ، والحفاوة بآثار الشعراء والكُتَّاب الأولين ، وغرس القداسة فى نفوس النشء نحو اللغة العربية وآدابها .

٣ - تربية الأخلاق الشخصية وترقية التقاليد العامة ، والاستعانة بتعاليم الدين وأنواع الآداب والفلسفات المتسقة معه لخلق أجيال زاكية القلوب والسلوك ، رفيعة السيرة .

٤ - ربط الحياة العامة بالدين عن طريق دروس أملأ بالعلم وأدنى إلى الجد ، العناية بالذكريات والأحفال الدينية ، بحيث تتكون فى النفوس عواطف الإجلال للدين والوقوف عند حدوده والمبادرة إلى تلبيته .

٥ - ملاحظة تيار المدنية الزاحف من ميادين الصناعة والتجارة والزراعة وسائر فروع النشاط الإنسانى .

وإطلاع الجماهير بشتّى الوسائل على صور هذا التقدم وقيادتها بقوة ، حتى لا تتخلف عنه .

* * *

ويتبع ذلك - بداهة - منع أى برنامج يصرف النفوس عن الأهداف السابقة ، أو يُقلّل من التعلق بها والإفادة منها .

ولسنا نرمى إلى جعل الإذاعة معاهد فنية تُفحم نفسها فى بحوث بعيدة الصلة عن طبيعتها ...

بل نريد أن تتحول الإذاعة إلى قوة بنّاءة تؤدى لهذه الأمم مثل ما تؤديه إذاعات كثيرة فى الأمم الأخرى .

والعلم - فى معاهده الخاصة - يُدرس بأسلوب فنى معروف .

وحين يُوجّه إلى الجماهير يتخذ طرائق ميّسرة ، ويُقدّم منه ما يرفع المستوى العام فحسب .

* * *

وتنتقل إلى برامج الترفيه والتسلية .

وهى قسم كبير من رسالة الإذاعة .

أو هى - الآن - القسم الأكبر الذى تنصرف إليه الجهود ، ويتعلق به العوام والفارغون ...

إنَّ الترويح عن القلوب أمر لا بد منه .

ومن المستحيل أخذ النفوس بالجد على إطراد الزمن وتوالى الأيام ...

والإنسان محتاج إلى ما يُجدِّد مشاعره وينفى عنه الملل والسآمة ، ويبعثه على العمل بين الحين والحين كما ينبعث إليه المستيقظ بعد ليل هادىء ونوم مريح ...

وفى فترات الاستجمام ما يوفر على الإنسان هذا الحظ المرغوب .

وكذلك فى عدد من الفنون التى تتجاوب مع نفسه ويشعر فى ظلالها بالرضا والنعيم .

وألحان الموسيقى ، وأصوات الغناء ، لها هيمنة غريبة على الأعصاب .

وأغلب المرهقين حين ينصتون إليها يحسون الراحة ويتخففون من أعباء ثقال ...

ونحن لا نتجاهل حقيقة الإنسان ، ولا طبيعة حياته .. إنه عقل وعاطفة .

وللعاطفة دخل هائل فى نشاطه وتراخيه ، فى تفاؤله وتشاؤمه ، وفى كثرة إنتاجه وقلتها .

ثم إننا لا نريد أن نحجر واسعاً ، ولا أن نصوِّر النفس الإنسانية على غير ما خلقها اللّه .

إنَّ الزعم بأن أحاديث « الحب » أو العاطفة الجنسية هى الشىء الوحيد الذى يطرب له الإنسان ويستجم فى كفنه كلام فارغ .

أو هو - بالتعبير الدقيق - كلام ساقط .

فالإنسان أرفع قَدْراً من ذلك ، وأقطار قلبه أوسع ، وآفاق عوطفه أرحب ..

والخطأ الكبير أو الخطيئة الكبيرة التى ارتكبها رجال الإذاعة أنهم ظنوا العاطفة لا تعدو الحب ، وأنَّ الغِناء لا يعدو الغزل .

ومن ثَمَّ تنحصر الجمهرة الكبرى من أغانينا داخل النطاق الضيق الصغير .

إنَّ الآداب والفنون من أجَلِّ وجوه النشاط الإنسانى .

والمشتغلين بها يستحيل أن ينجحوا فى عملهم أو يصلوا إلى شىء طائل ما لم يكونوا على قَدْر كبير من خصب الشعور وعظم الطاقة وسعة الذكاء ...

إنَّ الفاقهين فى شئون العاطفة الإنسانية ، والخبراء بتحريكها وتطمينها ، ليسوا أُناساً عاديين ، إنما هم رجال فى قمة البَشرية ، رجال لهم قلوب أرق حساً ، وأزكى معدناً ، وأنبل اتجاهاً ، وأبين إيثاراً من سائر الخلق .

فإذا قارنتَ بين هذه المُثل ، وبين أهل الفن عندنا انتقلتَ من القمة إلى الهاوية .

انتقلتَ من الإنسانية العالية إلى الحيوانية التى تتقلب فى حمأ الشهوات .

ودائرة الفن - عندنا - تكاد تكون مغلقة على هذا الصنف من الناس ..

الصنف الذى يجهل ربه لأنَّ أصل الإيمان مبتوت من فؤاده .

فهو - بداهة - لا يعرف إليه طريقاً من عبادة أو بِرّ .

وهو يشرب الخمر كما يشرب الماء .

وهو ينظر إلى النساء نظرة السوائم إلى الكلأ المباح .

وبتلك المشاعر يُغَنِّى ويتأوه ويُسَلِّى الجماهير .

نعم .. هو يُرقِّقْ عاطفتها باسم « الفن .. » .

فإذا كانت برامج التثقيف كما رأيتَ ، نفعها قليل ولغوها كثير ، وإذا كانت برامج الترفيه كما رأيتَ تعتمد فى كلماتها وتلحينها وأدائها على هذا النفر من الناس الذين يسمون « فنانين » وهم عُبَّاد شهوات وأحلاس معصية ، فماذا تكون النتيجة ؟ النتيجة أنَّ الأمة تسمع ما يضرها ولا ينفعها فى أغلب الأحيان .

وهذا داء عَزَّ على الأساة .

* * *

وقد ترادفت صرخات المحذّرين من سقوط الفن وفساد بيئته ، وصوّرت حريق الغرائز التى تستعر فى أجساد زبانيته ، ثم ينتقل لهيبها إلى كيان المجتمع فلا تدع فيه فضيلة ولا عِفّة ولا حزماً ..

ولأنقل هنا كلام الأستاذ « عبد المنعم شميس » مدير المطبوعات فى الإقليم المصرى . قال : « .... ويخيّل إلىّ أنّ مؤلفى بعض الأغنيات يكونون فى حالة غيبوبة عقلية وتخدير جنسى ، حين يكتبون أغنياتهم لتتوافق مع حركات صوتية معيّنة تقوم بها النساء المغنيات لبعث النشوة الجنسية فى السامعين .

لقد سمعتُ مرة أنّ مؤلفاً معروفاً أقسم بالطلاق أنه لن يُغيّر لفظة رأى الملحن أنها تبعث فى الدماء قدراً أكبر مما يُراد من النزوات ، وأصرّ المؤلف على رأيه .

وأعجبت المغنية باللفظ المثير الثائر ، فاصطنعت للأغنية كلها ما أراده المؤلف لها من ميوعة محترقة والهة .

إنّ أنجح المؤلفين هم القادرن على بعث أكبر قَدْر من التخدير فى ألفاظهم .

وأكثر الملحنين عبقرية أقدرهم على توفيق الأنغام المتسقة مع هذا التخدير .

أما المغنيات فهن مُسَيَّرات لا مُخَيَّرات .

لأنهن - فى الغالب - يسيطر عليهن رجال يرون أن تتمايع المغنية وتتأوه وتتخاذل حتى تصل إلى درجة من فقدان الحس ، تنسى - بعدها - أنّ الجماهير تتخيلها معها فى صورة معيّنة .

والإذاعة - فى ذاتها - لا تسير على خطة واضحة فى اختيار أغنياتها .

ولكنها تخضع للآراء الشخصية الفجة ، والأهواء الذاتية المتناقضة .

ويبدو أنّ المسئولين فيها يحسون بالحرية الكاملة فى تخدير الشعب .

لقد سمعتُ مرة أحد المسئولين السابقين فى الإذاعة يقول لملحن معروف يعمل مع إحدى المغنيات ، ألفاظاً بذيئة يعاقِب عليها القانون .

وكان هذا المسئول يضحك ملء فِيه لأنه يعتقد - فيما يبدو - أنَّ الفن لا يكون إلا رقاعة .

بل إننى رأيتُ بعينى كثيرين من المطربين وكثيرات من المغنيات يشربون الخمر قبل أن يوضع الميكروفون أمام أفواههم .

وهم يفعلون ذلك حتى ينسوا أنفسهم أثناء الغناء . وحتى يتخذوا من التخدير الكحولى وسيلة إلى الميوعة الذاتية .

إنَّ الظمأ الجنسى يسيطر على أغلب المطربين والمطربات .

وهم يوقفون أحياناً عند حد لا يتعدونه إذا كانت الأغنية قد سبقت الموافقة عليها من المسئولين فى الإذاعة .

أما فى الحفلات الخارجية الحُرَّة فإنه يحدث كثيراً أن يضطر المذيع إلى إغلاق « الميكروفون » حتى لا تتصل أصوات الفضيحة إلى آذان المستمعين فى لحظات انسجام المغنى أو المغنية مع الجمهور .

ثم يقول :

الأفلام السينمائية - فى جملتها - ترمى إلى شىء واحد ، هو إبراز الأنوثة العارمة الطاغية .

وترمى إلى إظهار المفاتن الجسدية عند النساء بكافة الطرق الفنية الممكنة .

فالقصة لا يهم موضوعها أو مغزاها .

والهدف الفنى من القصة لا يُرجى عند صُنَّاع الأفلام ، والتعبير الصادق عن حيوات الأشخاص لا شأن لهم به .

إنما يهمهم - أولاً وأخيراً - أن يحفل الفيلم بالراقصات المتفننات فى التثنى ، البارعات فى إظهار أفخاذهن وبطونهن وأردافهن ونهودهن ، وأن يحفل أيضاً بالفتيات الجميلات فى أوضاع شتَّى تُظهر فتنتهن .

ثم يبقى بعد ذلك الغِناء .

وفى مثل هذا الجو الصارخ الملىء بأكوام اللحوم النسائية ؛ لا يجوز أن يكون الغناء . إلا تهافتاً مائعاً ، وتخاذلاً منسجماً مع تلك الرقصات ، وتلك الإيماءات ، وتلك اللفتات ، التى تنبض كلها بالإغراء .

ومهما تكن ألفاظ الغِناء مهذَّبة فإنَّ طرق الأداء لا بد من انسجامها مع الجو العام للفيلم .

حدثنى أحد الخرِّيجين ذات مرة عن هذا اللَّون من الفن السينمائى فقال - فى حدة وغضب :

اذهب إلى دور السينما من الدرجة الثالثة ، وتتبع الفتيان المراهقين فى أوائل الصفوف وانظر ماذا يفعلون ؟ !! .

لقد سكت ، ولم أستطع السير معه فى حديثى ، لأننى فهمت كيف يؤثر تثنى راقصة وتمايع مغنية فى شاب يعانى الحرمان الجنسى .

أجسام شبه عارية ملتهبة . عارمة الأنوثة ، وعيون متكسرة فاترة ، وحركات تهز اللين من أجزاء الجسد البض .

هذه الأُنثى التى تُغنِّى !

لو أنها سكتت لأثارت .

ولو أنها قالت حِكماً وأمثالاً لهزت مشاعر الفتيان .

فكيف بها إذا تحدثت عن الحبيب الهاجر والعاشق القاسى ؟

ورغم هذا كله تُصرِّح الدولة بهذا الخزى لِيُعرض على الجماهير المحرومة !

بل تُصرِّح به للمراهقين والمراهقات من فتياننا وفتياتنا .. !

إنها فضيحة تعمل باسم القانون ، وجريمة تُرتكب علناً فى أماكن عامة تحت سمع الحكومة وبصرها .

وهذا الغناء الذى يخرج مع هذه الأفلام تتلقفه الإذاعة سريعاً لتملأ به جو البلاد ميوعة وخنوثة وتدهوراً وانحلالاً .

أما « الصالات » و « الكابريهات » فإنها شيء آخر ..شيء يستحق الهدم والإزالة .

والغريب أنَّ هذه « الصالات » و « الكابريهات » خاضعة لسيطرة الدولة ، لا يُقال فيها حرف بغير موافقة الرقابة .

ويسعى إليها المفتشون ورجال بوليس الآداب لمنع ما قد يحدث فيها من مخالفة للآداب العامة .

* * *

يقال : إنَّ فى الإذاعة عباقرة يضعون البرامج الأسبوعية ويرتبونها ترتيباً لايستطيع إنسان نقضه .

وهؤلاء العباقرة يضعون جداولهم وفق المواد التى أعدها لهم عباقرة آخرون اختاروا كل ما يجب أن يُذاع .

وأنا لا أسخر من قصة العبقرية فى الإذاعة .

فقد قال بها رجل عظيم يحمل إجازة الدكتوراة ، وكان يشغل أكبر منصب علمى فى مصر ، ويحمل الباشوية أيضاً .

هذا العظيم يقول : إنَّ الذين يُقدِّمون هذه الإذاعات المضطربة الحائرة إلى الشعب عباقرة .

ولكنى لم أسمع بعد أنَّ واحداً من هؤلاء العباقرة استطاع أن يُثبت عبقريته بعمل واحد نافع أو ناجح .

ويزعم العباقرة أنهم يُقدِّمون للناس أحسن ما يُقدَّم إليهم من فن وثقافة ، وأنهم غير مسئولين بعد ذلك عن شيء .

فماذا قدَّم حضرات العباقرة للشعب ؟

وماذا يريدون أن يفعلوا بالشعب الذى يدفع لهم أجورهم من عَرق الجبين ؟

أحب - قبل أن أمضى معك فى حديث هذه الإذاعة وهؤلاء العباقرة - أن أُطلعك على أساس واحد ضخم أقيم عليه هذا المرفق الثقافى الشعبى فى مصر .

لقد كانت الإذاعة إلى عهد قريب فى أيدى الإنجليز الحُمر الذين جمعوا حولهم أفراداً شذاذاً من الإنجليز السُمر لإشاعة الفساد فى مصر وقتل مظاهر الحيوية فيها .

وظلت هذه الرواسب المعلولة تعمل فى الإذاعة على الأُسس الاستعمارية التى رسمها الإنجليز.

وبقى أفراد شذاذ يدينون بالولاء لسادتهم الأقدمين فكراً وشعوراً .

هؤلاء الأفراد نماهم الإنجليز على فتات مائدة الاستعمار .

ونفخوا فى أرواحهم الذليلة حتى أشعروهم - عن غير قصد - بأنهم أشخاص يستحقون الحياة ويستحقون المجد .

وكبر هؤلاء الأفراد فى أعين الناس .

وأصبح الواحد منهم يظن أنَّ العبقرية الفذّة هى التى وصلت به إلى المنصب الخطير .

منهم مَن كان كاتباً صغيراً لا تُحسن أنامله تحريك مفاتيح آلة الكتابة .

ومنهم مَن كان ساعياً يحمل الأوراق من غرفة إلى أخرى .

ومنهم مَن كان غلاماً تلقّى الرطانة عن سيد أحمر ، فجرت على لسانه كلمات إنجليزية حملته على التعالى والتعاظم .

ومنهم مَن لا يُحسن علماً أو ثقافة ، ولكنه أصبح - بين عشيَّة أو ضحاها - رجلاً خطيراً ، تُرجى شفاعته .

وجاء الخطر الداهم ، خطر النفاق الذليل ، والرغبة العاجلة فى المال .

فأحس هؤلاء الفتيان أنَّ كبار رجال الفكر يرجونهم ويتقدمون إليهم ، فأحسوا بأهميتهم فى الحياة . وزاد غرورهم .

شهدتُ مرة رجلاً عظيماً تولى كبار المناصب ، وبلغ الذروة شُهرة ومجداً ، يتزلف إلى واحد من هؤلاء الفتيان ليمنحه الفرصة السانحة التى تضع فى يده جنيهات قليلة يتقاضاها على حديث يُذاع .

وخرجتُ إلى الطريق مهرولاً أبحث فى وجوه الناس عن الكرامة وعفة النفس وتقدير الفن .

وخُيِّلَ إلىَّ بعد ما شاهدتُ من أمر هذا الرجل العظيم أنَّ الكرامة فى مصر لا يحس بوجودها إلا هؤلاء المساكين الذين يقتلهم الفقر ، وتذيب نفوسهم الحاجة ، ولكنهم لا يتذللون ولا ينافقون .

* * *

وقد أثَّرَ الفن المريض على الفتيان آثاراً خطيرة ، وخلق فى نفوسهم الغضة الطرية كل نوازع الشر .

إنَّ المواقف الغرامية المثيرة التى يراها الفتيان على الشاشة الفضية يسعون إلى تمثيلها فى واقع الحياة .

والأغانى المبتذلة الفاجرة يرددونها استهواءً للفتيات .

وآثار الحفلات الداعرة والصور العارية ، والرقص الخليع ترسب كلها فى أعماق هؤلاء الفتيان وتجذبهم نحو البحث عن اللَّذات الشهوية من أى طريق .

وقد نشرت الصحف أخيراً أنَّ بعض الغلمان يُقلِّدون مجرمى « شيكاغو » فى ارتكاب الجرائم .

هؤلاء الغلمان يركبون سيارة أُجرة فى الإسكندرية ، ثم يسرقون من سائقها مبلغ ٢٧ قرشاً .

ثم يقومون بحادث آخر فى الساعة الثانية صباحاً مع سائق سيارة أخرى .. يترك لهم سيارته ويهرب .

ثم يجرى خلفهم رجال البوليس فيحاول أحدهم إطلاق النار من مسدس كان معه ولكن الرصاصة لا تنطلق .

وحين يُسْئَل هؤلاء الفتيان عن السبب الذى دفعهم إلى إرتكاب هذا النوع من الجرائم يقولون : إنهم يقلّدون الأفلام السينمائية التى يشاهدونها .

وفى مثل هذه الحادثة تستطيع أن تُدرك - فى وضوح - الأثر الذى تتركه هذه الفنون المريضة فى نفوس الناس .

وتُدرك أننا لم نكن هازلين حين قدّمنا لك هذه الصفحات لترى فيها صورة من صور الانحلال والتدهور والسقوط » .

نشرت « الجمهورية » فى العدد (١٧٢٦) تحت عنوان « حاربوا الجريمة ولا تنشروها » كلاماً حسناً نلخصه فيما يلى :

فى كل شهر قصة صاخبة الحركات شائقة الوقفات تفتعلها الإذاعة وتقدمها للناس .

نعم .. لقد أصبحت الحلقات التمثيلية المسلسلة التى تقدمها الإذاعة لمستمعيها كل يوم ... وفى ميعاد معيَّن شيئاً رتيباً أشبه بالوضع الذى يظل قائماً ولو تغيَّر الموظفون .

وقد وجدت هذه الروايات العجيبة رواجاً كبيراً بين المستمعين مما جعل المسئولين فى الإذاعة يثبتونها كركن دائم .

فما هى القيمة الحقيقية لهذا البرنامج الغريب ؟

الواقع أنَّ هذه التمثيليات خواء من كل معنى جاد ، ومن وجهة سامية .

هذه التمثيليات يربط بعضها بالبعض الآخر - مع اختلاف ألوانها - شَبه قائم ، وينتظمها - مع تعدد موضوعاتها - خيط رفيع .

إنها جميعاً تعتمد على اللَّغو الموصول ، وتسميم المشاعر والأفكار .

وللإصرار على تسلية الجمهور ، بهذا الأسلوب المدخول دلالته المريبة .

إنه يدل على إصرار متعمد ، تسانده فكرة ثابتة لدى المشرفين المسئولين .

وإلا فما معنى اختيار التمثيليات ذات الطابع المثير ، التمثيليات التى تستعرض الجريمة وظروفها ، وتنشر حول فصولها جواً من الرعب والإرهاب ؟؟

كما تصور للمستمعين حيل المجرم للتخلص من معالِم جريمته ... إلخ .

إنَّ هذا هو ما تفعله الإذاعة حين تُروِّج لمثل تلك التمثيليات التى يستمع إليها أفراد العائلة فى كل منزل . وفى مقدمتهم الأطفال .

أولئك الأبرياء الذين يسألون آباءهم وأمهاتهم - فى دهشة - عن الكلمات الغامضة - بالنسبة لهم - كالحشيش مثلاً ، وهل فعلاً هو ذلك النوع الذى تأكله الأرانب ؟

وإذا كنا نعلم عن طريق الإحصاءات العلمية أنَّ للأفلام الإجرامية التى يشاهدها الأطفال والمراهقون فى السينما أثراً كبيراً على نفوسهم ، وأنها تسهم بنصيب وافر فى توجيههم الإجرامى أدركنا خطر هذه الروايات المسمومة ..

إنَّ الإذاعة هى المدرسة الشعبية الكبيرة ، بل هى أكثر انتشاراً وتأثيراً ونفوذاً من أى مدرسة أخرى .

وإنَّ الخطر الذى يمكن أن ينجم عن إذاعة مثل تلك الحلقات الإجرامية .. وبتلك الصورة ليس سوى انتحار عملى لرسالة الإذاعة فى هذا البلد وفى هذه الحقبة بالذات التى نحن أحوج ما نكون فيها إلى أن نربى فى نفوس أطفالنا كل ما هو إنسانى ووطنى وشريف .

لماذا لا تُقدِّم الإذاعة سير العظماء والأبطال على حلقات .. ؟

وبهذا التنظيم نفسه الذى ألفه الجمهور واستحبه ..

* * *

جراثيم العفن الخُلُقى

الثمرة المعطوبة تُعزَل وحدها حتى لا يسرى فسادها إلى غيرها ..

وكثيراً ما نرى صناديق التفاح والبرتقال تُعبأ بطريقة أساسها الحيطة لما يُتوهم من علل طارئة .

فتُلَف كل ثمرة على حدة فى ورقة خاصة . حتى إذا تسرَّب إليها تلف انحصر فى موضعه ونجت بقية الثمار منه !

وما يُقال فى عالَم النبات ، يطرد كذلك فى عالَم الحيوان .

كأنَّ المحافظة على المال غريزة تأخذ امتدادها دون افتعال أو تعويق . .

وكأنَّ تواضع الناس على هذا المسلك استجابة لنداء الفِطرة ، فما يلقاه أحد باعتراض أو استنكار !! ..

ولكن الأمر فى ميدان الأخلاق على العكس .

إنه أنزل رتبة وأقل قيمة من أن يُهتم فيه بصيانة ، أو تُطلب فيه سلامة الجوهر والمظهر التى تُطلب فى أُقة تفاح أو برتقال !!

الأمر فى ميدان الأخلاق - كما يبدو لى الآن - عمل متعمَّد لنقل الداء من السقيم إلى البرىء ، ورغبة مُلِحة فى تحويل المرض الفَذّ إلى وباء جارف !

وحماس خبيث طافح لرؤية حدود اللّه وقد مُحِيَت محواً .

وتقاليد النبل والفضل - وقد أصبحت آثاراً طامسة ، ومظاهر الشرف والعفة وقد صارت فى ذمة الماضى البغيض - لا يستمسك بها إلا أبله ، ولا يُعَوِّل عليها إلا متأخر !!

ومَن الذى يصنع هذا الزلزال المهدِّم لبناء الإيمان والفضيلة ؟

نفر من الناس أقفرت حياتهم الذهنية والنفسية من كل خير يشرف به الإنسان فهو دائبون على تلويث منابع الخير ، وتصديع أركان الأمة ..

وقانونهم الأول والأخير ، هو : إذا لم نستطع أن نرقى إلى جو المُثُل العليا فلنجعل هذه المُثُل تهبط إلينا !

وإذا عجزنا عن معالجة حياة الاستقامة والتزام فروضها ، فلنحقِّر هذه الحياة ولنجر أصحابها جراً إلى مزالق الإثم والجريمة ، حتى يستوى الكل فى المجون والخنا ...

والشخص القذر يرضيه أن تكون الدنيا كلها على غراره ، ويغضبه أن يترفع الناس عن مآثمه وعاره ..

ولعل هذا هو التفسير الوحيد لبدعة أخذ الأصوات على الفضيلة والرذيلة .

يجتمع نفر من الشُكَّاك ويتساءلون : هل الدار الآخرة حق ؟

لنأخذ الأصوات بعد بحث الموضوع !

ويُبحث الموضوع فى ذلك النطاق الماجن الساخر ، ثم تنشر صحيفة « ... » أنَّ الكثرة الساحقة رأت أنَّ الدار الآخرة باطل لا يُلتفت إليه .

وما صُنِعَ فى أمر الآخرة يُصنع مثله فى قضية « اللواط » فتنشر صحيفة « .... » أنَّ المجتمعين لبحث الموضوع قرر أغلبهم إباحته .

وذلك - للأسف - ما صنعه قساوسة إنجلترا .

ورحَّب به هنا بعض الصحفيين ترحيباً حاراً ، ترحيباً ينبعث من أعماق قلوبهم !

وطبعاً ، غمز الإسلام وعلماءه لأنهم يقفون ضد هذا الارتقاء .

أو يحقرون ذلك الشذوذ .. !

ومثل ذلك ما نشرته أيضاً صحيفة « ... » من أنَّ بعض الشباب اجتمعوا وناقشوا موضوع التقبيل فى الطريق العام ، ثم أصدروا قراراً بجواز القُبلة على أن تكون فى الشارع لا في الميدان ، أو أن تكون فى الحارة لا فى الشارع !

وسأل أحد الرجال الطيبين : أيظن هؤلاء أنَّ اللّه يرى الإثم فى زحام الناس ولا يراه بمعزل عن الزحام ؟

فقلت له : ياهذا ... ما لهؤلاء شأن باللّه ، إنه لم يخطر على بالهم من قبل ولا من بعد .

عجباً ، ما هذا الفسوق عن أمر اللّه ؟

بل ما هذه الجراءة فى إعلان الفسوق والحض عليه ، ودفع الخاصة والعامة إليه ؟

ماذا يراد بهذه الأُمة البائسة ؟ وماذا تبيِّته الصحافة والإذاعة والمسارح والسينمات لهذا الدين الجريح ؟

إننى أمشى فى الطريق فأدهش لافتنان الجاهلية الحديثة فى التهتك وإبراز العورات .

وفى استفزازها الغرائز الهاجعة كى تعربد ثم تفتك بكل أثر للإيمان والتحفظ والتقوى ..

نعم .. فلو تُرِك الناس وشأنهم لكان شرهم الحيوانى المعتاد أقل ألف مرة من ذلك الشر المستطار المعتوه الذى تشعل ناره نزوات الملحدين والماجنين كل صباح وكل مساء ...

فإنَّ أقوى المشاعر وأحدها يبرد أو يعتدل مع ضعف المؤثرات الخارجية وتراخى الزمن .

فالأب الثاكل أو الأم المكلومة تخمد نارهما مع التصبر ومر الأيام .

ولذلك يقول الشعر :

فو اللّه ما أنسى قتيلاً رُزِئْتُه بجانب قوسى ما مشيتُ على الأرض

ثم يعتذر عن استجابة بره بهذه اليمين فيقول :

علـى أنها تشفى الكلوم وإنما توكـــل بالأبـــىِّ وإن جَـلَّ ما يمضى

واندمال الجراحات - وإن غارت - لا يتم إذا جاءت بين الحين والحين نائحة مستأجرة تنبش الذكريات الدفينة ، وتطرد الصبر الوافد ، وتحيى الجزع وتستبقيه .

وفى هذه الأيام يوجد لفيف من عملاء الشيطان ، كرّسوا أوقاتهم لمطاردة العفاف والتقوى ، وتوطين المجون والهوى ، يعبثون بغرائز الشباب ويعملون على بقائها متوترة مضطربة كلما انصرفت إلى جد أزالوها عنه .

وكلما وقعت على لهو زيّنوه لها ، وكلما ملّت متعة عرضوا فنوناً تنفى السآمة وتُغرى بالمزيد من العيب والسخف .

والغريب أنّ هؤلاء أعلى صوتاً من دعاة الطُهر والأدب .

بل إنّ نصائح الواعظين إلى جانب الضجيج الهائل الذى يُحدثه فى المجتمع أولئك المنحلون السفهاء تشبه وقع العصا فى معركة تدمدم فيها المدافع والطائرات !!

وكثيراً ما أسير فى الطرق العامة ، فأرى ما يُقذى عيون الأشراف والأطهار ، ويملأ بالكآبة والحسرة كل نفس غيور على مستقبل هذه البلاد !

ما هذا الضيق البالغ فى ملابس النساء ؟

لقد أسأل نفسى : كيف أمكن المرأة أن تدخل فى هذا الثوب الملتصق بكل شىء فى بدنها ؟

لا شك أنها انزلقت فيه بطريقة ما كما تدخل القدم فى النعل الضيقة بعناء وحيلة .

ولمن كل هذا التبرج ؟ إنه ليس للزوج أبداً .

إن كانت هذه المرأة متزوجة فملابس البيت مجردة تماماً من كل هذا الإغراء اللعين ..

إنه للعيون النهمة ، والذئاب المتربصة ، ودافعى الثمن المطلوب ...

نعم .. لهؤلاء وحدهم ، تعرية الظهور والنحور . ولف الأرداف حتى تتراقص فى أثناء المسير . وتُثير الفتنة . وتُحرّك الغرائز !

ورسالة الصحافة والإذاعة والمسرح والسينما هى تغذية ذلك الفساد ، وتنميته حتى يطم ويعم ، وحتى لا تفلت من خبثة قرية ولا مدينة ، ولا ينجو من غائلته وليد ولا مُعَمَّر ! ...

لحساب مَن ذلك الانطلاق الحيوانى الشارد المارد ؟

إنه - بداهة - ليس لحساب دين من الأديان .

فهل هو يتفق مع خصائص القومية العربية التى أعلنا أمام العالَمين عودتنا إليها واستمساكنا بها ؟ .. كلا ...

فإن للأعراض عند العرب قداسة ، ما خُدِشت فى جاهلية ولا إسلام .

الحقيقة أننا أمام جماعة من الناس كوَّنهم الاستعمار بأسلوبه الخاص .

ورمانا بهم كى يهدموا ما نُشيِّد ، ويردونا إلى الظلام كلما تلمسنا الطريق إلى الرقى النفسى والاجتماعى .

ولن يصح لنا نهوض ما بقى هذا الصنف المخنَّث الواهن ينفث سمومه وينشر مباذله !

والواقع أنَّ أنكى سلاح شرعه الاستعمار ضد الإسلام هو ذلك النفر من الناس الذين يحيون فى مجال حدوده الأربع شهواتهم الدُنيا .

ويحق لإنجلترا وفرنسا وأمريكا أن تقر عيناً بما يكتب هؤلاء وبما يغرسون من أفكار وأهواء فى مجتمعنا العليل .

إنهم ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى !

ولو كانوا عُبَّاد وثن ما ، لعرفنا لهم عروة يُربَطون بها ، أو حداً ينتهون إليه .

ولكنهم عُبَّاد الهوى ، وعُبَّاد الهوى تحكمهم غرائز السوء !

وما تنضبط غرائزهم إلا بمس العصا ووقع السوط .

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (١) .

هؤلاء هم الخطر المخوف على مستقبل الأمة .

ومن ثَمَّ يجب أن نتيقظ لدسهم ، وأن نحتاط لعوجهم ، وإلا تعرض جهاد المصلحين للبوار ، وكيان الجيل الجديد للدمار !

إنَّ المرارة التى تنقطع غُصَّتها من حلوقنا ، سوف تبقى ما بقى هذا القطيع المهجَّن الذى صنعه الاستعمار الأجنبى والغزو الثقافى .

إنَّ هذا القطيع النكد يؤثر الإلحاد على الإيمان ، يؤثر الفُحش على العَفاف ، يؤثر السُكْر على الصحو ، يؤثر المجون على الجد ...

وقد أفلح الغرب فى إشراب روحه البغض للإسلام والهزء بتعاليمه ، والذهول عن قضاياه والتنكر لأهله ...

وهل يطلب الشرك لمحو الدين غير هذا ؟

وهل يجد لبلوغ مآربه أسرع من هذا الجند ؟

لقد قرأتُ - وفى النفس أسف - كيف أنَّ مصلحة الشهر العقارى قررت اعتبار شهادة المرأة مساوية لشهادة الرجل فى توثيق المعاملات والعقود . وكيف استصدرت فتوى فى مجلس الدولة بهذا الحكم !!

ولستُ متحسراً لأنَّ حكماً من أحكام القرآن هُدِم فحسب ، بل لأنَّ المقدمات والأسباب التى سيقت بين يدى هذا التصرف الصغير لمصلحة الشهر العقارى تهيج النفس .

فأمين المصلحة - واسمه على ما أذكر « حسن » !! - يعتمد فى فعلته تلك على القانون الفرنسى .

---

(١) الفرقان : ٤٣ - ٤٤

ويذكر بدقة واجلال المصادر التى رجع اليها من ذلك القانون . وضرورة التزامها !!

عجباً إذا تناول رجل فرنسوى كأساً من خمر ثم غمس قلمه فى المداد . وصنع سواداً فى بياض فإن السطر الذى كتبه يصبح قانوناً مرعياً ..

أما قول اللّه فى كتابه : ﴿ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ، فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ ﴾ (١) .

فهذا الوحى الإلهى دون تخليط الرجل الفرنسوى !! يجب أن يُؤخَّر !! بل يجب أن يُهمل وأن يحل ملحه - فى القداسة والإنفاذ - كلام القانون الفرنسى .

بل إنَّ أمين مصلحة الشهر العقارى - واسمه مرة أخرى « حسن » - يقول : إنَّ هناك رأياً بأن شهادة المرأة أوثق من شهادة الرجل !!!

وليس العجيب أن يزيغ امرؤ عن هدى اللّه ...

ولكن الغريب أن يقع هذا . فى بلد مسلم . ومن رجل يُدفن - إذا مات - فى مقابر المسلمين ...

والغريب أنَّ الصحافة أخرجت هذه المأساة إخراجاً يليق برسالتها .

فهذه تتندر بأنَّ المرأة نصف الرجل فى الشهادة وتُخرج لسانها لهذا الحكم .

وهذه تعتبر المساواة . التى هُدِىَ إليها رجل «الشهر العقارى » تقدماً يستحق التنويه .

وهؤلاء وأولئك . من ضحايا الإدمان والذهول . يريدون أن تدوخ الأمة معهم وأن تنحدر إلى هاويتهم .

ثم لا بأس من تسمية هذه الاستجابة الكاملة للصليبية الغربية تحرر وارتقاء ..

* * *

(١) البقرة : ٢٨٢

ضبط النفس

العكوف على اللذائذ ، ومطاوعة الأهواء ، وإجابة الرغبات الدنيا ، أمراض تصيب الأمم فى عصور الانحلال وتُعرِّضها للهلكة ، فهى نُذُر الفناء ودلائل إدبار السيادة .

ولقد لوحظ من استقراء التاريخ أنَّ الحضارات الكبرى لم يقتلها إلا الترف ، وأنَّ الأمم العظيمة لم يلهكها إلا البطر ، وأنَّ ترك الناس يرتعون فى الشهوات رتع السوائم لن يجر فى أعقابه إلا البوار العاجل . ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ ، لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

لذلك حرص أُولوا النُّهَى أن تشيع فى الجماهير أخلاق الجندية ، وتقاليد الخشونة وأن يتعلموا أخذ الحياة من جوانبها الصارمة ، ونواحيها الجادة .

كما اجتهدوا أن يبتروا من المجتمع مظاهر الاسترخاء والتخنث ، وأن يمنعوا استرسال النفوس مع أسباب اللَّهو والعبث .

فإنَّ شباب الأمة يتجدد ما بقيت تحترم العمل ، وتتحمل التعب ، وتصدف عن المعاصى ، وتعاف الغرام بصنوف المتع ولو كان من الحلال .

فكيف لو جاءت من الحرام ؟

إنَّ هناك خِلالاً من الطراوة تُفقد الأمم عافيتها لو تسربت إليها .

وإذا كنا الآن فى فترة بناء لتاريخنا الحديث وعهدنا الجديد .. فيجب أن نسد الأبواب أمام هذه الخِلال المبيدة ، وأن نصد أصحابها عن المضى فى غوايتهم .. حتى نحتفظ بحياتنا ، ونصون مستقبلنا .

---

(١) الزمر : ٢٦

ولا شك أنَّ ألد أعدائنا . وأخطر الناس على نهضتنا . أولئك الذين يُزَيِّنون الرذائل للشبان ، ويهيجون لدمائهم حب الجريمة ، ويُصوِّرون الحياة لهم على أنها غرائز يجب إشباعها ، وفرص يجب انتهازها ، وحرية ليس عليها قيد ، وانطلاق لا يهدأ عند حد ..

فمَن للمشقات بعدئذ يحملها ؟ ومَن للتضحيات يقدمها ؟ ومَن للمروءات يصنعها ؟ ومَن للبطولات يقوم بها ؟

وهل تنهض أمة إلا بهذا كله ، إنَّ الله يقول لداود :

﴿ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّه ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّه لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الحِسَابِ * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ ، فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ المُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (١) .

هيهات أن يستوى الفريقان .

ويستحيل أن تفلح أمة استثقلت مطالب المجد واستمرأت مزالق الرجس .

ويستحيل أن تنهزم أمة تغلبت على مطالب الشهوات وتهيأت لتكاليف الواجب .

ونحن إذا نظرنا حولنا .. وجدنا الأمم التى تنشد الحياة الكريمة تأخذ لهذه الحياة أهبتها .

فهى تغرس فى بنيها حب المخاطرة ومواجهة الصعاب ، وهى تُزيِّن لهم الأعباء الثقال ، ثم تحشدهم لها بالغدو والآصال .

وهى تكره لهم سقوط الهمة ، وضعف الوسيلة ، ومحاقر الأمور ، وانتهاب اللذائذ .

---

(١) سورة ص : ٢٦ - ٢٨

بل هى ترسم لهم سياسة التقشف ، وتضع مناهج الخشونة .

ثم تفرض على الشباب والشيوخ جميعاً أن يلتزموها .

ومما يستحق التنويه أنَّ الهند حرَّمت الخمور ، وحظرت تناولها ، مع أنَّ ديانتها لم تُشرِّع ذلك .

ولكن القوم تطلعوا إصلاح شئونهم . وإقصاء مظاهر الحيوانية عن نهضتهم ، كى تسير على صراط مستقيم .

فصنعوا هذا الصنيع الجيد ، وضمنوا به سلامة عقولهم وأبدانهم ، وبقاء أموالهم بين أيديهم .

والحقيقة التى نُذكِّر بها المسلمين بها : أنَّ الأُمة التى تألف قرب المتع . وتجزع من سياسة الحرمان إذا فرضتها ظروف طارئة . أمة لا تستحق الحياة ، ولن تجد لها بين الأحياء مكاناً ...

وأنَّ الشباب الذين تستهويهم أحاديث الشهوة . ولا تستهويهم أحاديث المجد ، هم شباب لا خير فيهم ، ولا تعويل عليهم .

لقد كان من خُلُق العرب الأوَّلين أن يطووا بطونهم ويكظموا على رغبائهم إذا واجهوا عدواً أو خاضوا حرباً ، ومن ثَمَّ يقول قائلهم :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو باتت بأطهار

فكيف نرتضى لأنفسنا - والأعداء من كل جانب محقدون بنا - أن نتشبع من الكماليات ، ونستكثر من المرفهات ، ونتصايح لفقدان ما لا قيمة له . بل ما لا بأس علينا من تركه إلى الأبد ؟

فى « عيد الفطر » انشغلت الحكومة بتدبير المال من العُملة الصعبة كى توفر أنواع النُقْل والسمك المجفَّف للناس .

فلمَ كل هذا ؟ . وما قيمة صيام لا يكف أصحابه عن هذه الشهوات . ولا يُعلّمهم الرضا بما فى أيديهم ، والزهد فيما سواه ؟ ...

وفى « عيد الأضحى » تُذبح ألوف الخِراف ليلة العيد .

وهذا لحم لا نُسُك فيه ولا عبادة ، وإنما هو تهيؤ لإسراف فى الأكل ولتخمة موجعة وحرمان للفقراء ، وخلق لأزمة فى اللحوم ما أغنانا عنها .

ومتى يحدث ذلك كله ؟

يحدث وحرب الإبادة تدور رحاها فى ربوع الجزائر المتخربة ، وبين مغانيها المعطلة ، وعلى ثراها المبلّل بدماء الشهداء .

يحدث والعصابات الإسرائيلية توطد أقدامها فى الأرض المقدسة ، وألوف المسلمين مطرودون من دورهم ، مفجوعون فى يومهم وغدهم .

إنَّ أحزان المنكوبين من أهل الإسلام تعترض مباهج الأعياد كما تعترض ظلمات الخسوف والكسوف أشعة الشمس والقمر .

وهى إن أوحت بشئ فبالعزوف عن اللّهو واللّعب . والتمرس بحياة الكفاح والمصابرة ، والصيام الطويل عما يستمرئه الفارغون . وخالوا البال .

خصوصاً إذا كانت مواد العبث المشتهَى من صنع الذين استباحوا حمانا وأرخصوا حرماتنا .

ألا ما أحقر السرور يجئ وليد غفلة عن الحقوق المقدسة ، أو ذهول عن الواجبات الكبار .

وليت شِعرى كيف تهنأ الأيام ، وصوت الباطل يحاول طمس قضايانا ، وصريخ المجاهدين يذهب فى الفضاء ولا من مجيب . وصدق القائل :

صياماً إلى أن يقطر السيف بالدم وصمتاً إلى أن يصدح الحق يا فمى !!
أفطِرُ وأحرار الحمى فى مجاعة وعيد وأبطال الجهاد بمأتم ؟

* * *

إنَّ أحَّد سلاح فى يد الأمم الناهضة هو زهدها فى أسباب الترف وإلفها أسباب الخشونة ، واكتفاؤها بالقليل الذى تنتجه وتملكه ، واستغناؤها عن الكثير الذى تستورده وتتلمسه من أيدى الآخرين أعداءها .

خصوصاً إذا كان الآخرون أعداءها .

ماذا كان يخسره المسلمون لو أنهم لم يُطعَموا السمك المجفف ، وقد اشترى لهم بالعملة الصعبة من فرنسا ؟ ...

يخسرون العفاف والقوة ؟ يخسرون الصلابة وضبط النفس ؟

أهذا هو ما أفطروا عليه بعد صوم رمضان ؟ ...

ألم يعلموا كيف صام « غاندى » وكيف علَّم قومه لبس الخشن من الثياب وأكل الغليظ من المطاعم ؟ .

وما هى إلا جولة حتى اهتزت قوى الاستعمار أمام تجرد الرجل الضعيف ...

الرجل الذى مَلَكَ معدته فشغلها بما يريد ، ومَلَكَ جلده فكساه بما يريد ، فكانت العُقبَى أنْ مَلَكَ أمره كله :

لقد صام هندى فروَّع دولة ... فهل ضار علجاً صوم مليون مسلم ؟
تجشم عن أوطانه صوم عامد ... فجشم أوطان العدا صوم مرغم
وخلى بلاد الظالمين بلاده ... تضيق بجيش العاطلين العرمرم
وألقى على منشستر ظل رهبة ... يضج بأسياج الشقاء المخيم
أهاب بآلات الحديد فعطلت ... مصانع كانت جنة المتنعم
وشل دواليب الرخاء بصرخة ... أدارت دواليب القضاء المحتم
كساها نسيج العنكبوت وكم كست ... جسوم البرايا بالقشيب المنمم

* * *

فيا لك من عانٍ لديه تصاغرت جبابر أبدان وعقل ودرهم
وراحت ملوك المال تشكو ببابه من الفقر باللظالم المتظلم

نعم .. هذه والله طريق المجد وخطة الفوز .

وما يستطيعها إلا مَن حبس شهوته ، وأظهر عفته ، وأبدى غناه ، وكبت فاقته .

فأما الذين يهرعون حيث تطلبهم الشهوات الطارئة ، والنزوات العابرة فلن يكونوا إلا عبيداً .

على أمثال هؤلاء يعيش المستعمرون فى الأرض ...

من التدليس فى شرع الحرية أن ننقلها من ميدان العقل والضمير إلى ميدان الغريزة والهوى .

إنَّ الحرية فى الميدان الأول ارتقاء إنسانى .

أما فى الميدان الأخير فهى ارتكاس حيوانى .

والعالم إذا كان قد ظفر فى نواحى المعرفة ومظاهر القوة فبحرية العقل لا بحرية الشهوة ..

والعالم إذا كان مهدداً بالرزايا والمخازى فبالحرية الأخرى - أى الحرية الحيوانية الدنيئة .

فيجب أن نُفرِّق بين نوعين من الحرية يحملان عنواناً واحداً .

ولكن بين حقيقتهما بُعْدَ المشرقين ..

وقد نقل إلينا الغزو الثقافى كلمات مريبة لها ظاهر يومئ إلى الحرية العقلية .

بَيْدَ أنك لو بحثتَ فى باطنها ما وجدتَ إلا حركة الغرائز المريضة تريد لتتنفس كيفما اتفق ، فى غير مبالاة بدين أو شرف .

والدعوة إلى محاربة الكبت قد تبدو فى ظاهرها إنماء للخصائص النفسية ، وتفتيقاً للمواهب الذهنية .

(١٩ - كفاح دين)

غير أنَّ الأفواه التى نطقت بها والأساليب التى مشت معها كشفت عن سعى حثيث لتجرئ الأجيال الجديدة على فعل ما يحلو وترك ما يثقل .

ويستحيل أن يكتمل فرد قرَّر أن يبنى سلوكه على فعل ما يلذ وترك ما يؤلم .

ويستحيل أن تقوم جماعة على مثل هذا الفهم المعلول .

وفى هذه المرحلة من تاريخنا بالذات يجب أن نوطد النفس على تحمل الآلام ، ونبذ اللّذائذ ، أى على كبت طويل .

إنَّ الإسلام لا يحتقر الغرائز الإنسانية ، ولا ينبغى أن يُظن هذا بتعاليمه بعد ما حصَّل جزءاً من الثواب الأخروى المحفوف بالرضا يقوم على إرضاء هذه الغرائز حتى تقر وتسعد ...

ولكن الإسلام يريد أن تملك نفسك ، لا أن تملكك نفسك .

وأن تكون إنساناً سيداً يحكم رغباته ، لا إنساناً تافهاً تحكمه رغباته .

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً ﴾ (١) .

فإذا نجحتَ فى امتحان الرجولة قدِّمت لك رغباتك مكافأة تستحقها وتكرم وأنت تنالها .

أما الذين يسقطون فليس لهم فى الدنيا إلا الحرمان ، وليس لهم فى الآخرة إلا الحرمان ...

بعض الناس يحقر الشئ إذا فاته الحصول عليه ، فهو يُهوِّن من شأنه ، ويغض من قَدْره على طريقة الثعلب الذى عَزَّ عليه عناقيد العنب فرجع يقول : « إنه عنب حامض » ...

---

(١) النساء : ٢٧

على هذا المنوال رأينا مَن يبخس الفضائل حقها لأنه عجز أن يكون فاضلاً ، وفشل فى أخذ نفسه بعزائم الخير ومعاقد الكمال ...

لقد رجع يذم الكذب ، لأن مقاومته لشهواته انهارت .

فهو يبغى أن يجعل من الاستسلام للشهوات قانوناً عاماً ، وأن يغرى غيره بالسقوط السريع أمام وساوس الشيطان ، لأنه هو سقط على عجل ..

ونحن نستغرب هذا المسلك !!

أكل مَن عجز عن الصدق فى القول والعمل ، يُقبل منه تسويغ الكذب ، وتحريض الناس على الإفك ؟

أكل مَن كسب سيئة وأحاطت به خطيئته، يُقبل منه أن يسخر من الحسنات ويباهى بالمنكرات ؟ كلا .. كلا .

يجب أن نعرف للفضائل قدرها . وأن نُدرِّب الشباب على ارتباطها ، وأن نخرس هذا الصياح الملعون بإباحة المتع الحرام ، والتهاب الملذات المشتهاة ..

وبذلك نبقى أُمة تعرف رسالتها وتحظى بعناية الله ، واحترام الناس .

أتدرى أين تنساق الأمة الإسلامية مع هذه البهيمية الطافحة الباحثة عن اللّذة أبداً ؟

أتدرى كم ننفق ؟ وكم يكلفنا إشباع هذه الطبائع المعلولة ؟

لا أجد أفضل من كلمة بارعة للشيخ « محمد على الزغبى » كتبها يدعو إلي تأميم « النفط » نثبتها فى المقال التالى :

ملوك وأُمراء وشاهات الذهب

لقد ثبت لساهرينا ومحققينا ، أنَّ الدول الطامعة ، الشرهة المحتكرة اختلست من ثراوتنا عام ١٩٥٥ فقط ، ما يساوى ربحه خمسمائة ألف مليون دولاراً أمريكياً (١) .

وقد تضاعف فيضان الآبار ، وعُرِفت آبارجديدة فى برنا وبحرنا .

فتضاعف الربح هذين العامين ، وأصبح تسعمائة ألف مليون دولار على الأقل !

هذا سوى ما يختلسه المستعمرون من مناجم الذهب والفضة والكبريت .

أيها العربى المسكين ، هل طاف بخيالك هذا الرقم الجنونى ؟

هل لدى أطفالك من حَبِّ القمح ، ما يساوى هذه الملايين ؟

هل عرفتَ أنَّ ما يحاول « أيزنهاور » ابتياع قلبك به هو جزء من ملايين مما اختلسه من ديارك ؟

هل علمتَ أنَّ نصف هذا الربح ، أو ستين فى المائة منه يُقَسَّم ستين سهماً ، لتأخذ « المملكة العربية السعودية » أربعة وعشرين ، و « الكويت » خمسة عشر .

وكل من « العراق » و « إيران » تسعة و « قَطَر » اثنين و « البحرين » واحداً .. هل تصوَّرتَ خطر هذه المبالغ ؟ هذا سوى عائدات الذهب والفضة والكبريت .

لا أريد إذهاب وقتك بعمليات حسابية .

يكفى أن تعلم أنَّ المستعمرين أنصار الشركات ، لا يعطون هذه العائدات إلا لمن لا يعبد سواهم .

---

(١) رسالة الثروة المعدنية للدكتور سعيد محمد عودة ، ص ٩

بل إنَّ إعطائها مشروط بعدم إنفاقها فى حقل يعود على ديارك بصالح عام ، لا سيما الاستعداد والتأهب لجولة ننال بها من « اليهود » بعض ثأرنا .

حسبك أن تعلم أنَّ ما يسلبونه من ديارك هو شريان أجسادهم ، ونور عيونهم ، وينبوع حياتهم .

وأنَّ أساطيلهم التى تهدد ، وملايينهم التى تبتاع قلبك ، ورياتهم التى تحاول الارتفاع فى سمائك ، قائمة على تلك المسلوبات !

وهل تعلم كم حاكوا من المؤامرات للاستئثار بما لا يزال كامناً فى ديارك ؟ .

- كلوا واشربوا ولا تستعدوا لعدوكم :

أجل .. إنهم يتكرمون بفتات من هذه المائدة ، على ملوكنا وأمرائنا وشاهاتنا ، ويشترطون عليهم عدم إنفاق درهم منها فى سبيل مناهضة إسرائيل .

بل يشترطون عليهم إنفاقها فى ما يثلج قلب المستعمر والشيطان .

ولو أنفق هؤلاء فى مايعود بخير على هذا الوطن الكبير ، أو وطنهم المحدود ، لودعهم الحظ وفارقهم ما يستمتعون به .

- الأسرة المحظوظة !!

إنَّ الأسرة المالكة ، أو الحاكمة بأمرها (طبعاً بتوجيه المستعمر واستمداد السلطان منه) تحتفظ من عائدات النفط براتب معلوم ، لكل مولود .

بل تتخذ كل أميرة من هذه الأسر ، وكيلاً لأموالها يدعى « وزير مال الأميرة » .

إنَّ صاحب « ألف ليلة وليلة » و « السندباد البحرى » لم يستطيعا تخيل هذا !

أما كبار الموظفين (وهم من الأسر المحظوظة فحسب) فلهم راتب سوى راتبهم العائلى ، ولكن خازن المال الذى لا دفتر عنده ، مكلّف بتسليم ما يطلبون .

لا عجب .. فهذه الأسر تنفذ منهاجاً رسمه المستعمر ، الذى خنقها فى بحر من الذهب ، وجعلها تدرك أنَّ بقاءها ووجودها ، موقوف على بقائه ووجوده .

ليت قومى يعلمون ...

أنَّ ما تنفقه هذه الأسر فى عام واحد وفى سبيل العار ، كاف لتمويل السد العالى ، بل كاف لإعادة الأمة العربية أعز مما كانت أيام عمر بن الخطاب .

ليتهم يعلمون أنَّ ما ينفقه أحد حاشيتهم ، يغنينا عن المساعدات المسمومة ، التى يستتر بظلها المرحبون بمشروع « أيزنهاور » !

ليتهم يعلمون أنَّ أنصار الشركات ، شراع يدفع سفينتنا لما فيه حتفنا ، وخنجر يقتطع من جسمنا أقوى وأنشط أعضائه ، وغل فى عنق نهضتنا ، وجرثوم فى غدير سعادتنا .

ليتهم يعلمون أنَّ الأموال لا تنشل من ضيق ، ولا تُفرِّج عقدة كارثة ، إلا إذا أنفقتَ منها ثمن كلب - على الأقل - يخيف اللصوص وينبِّه صاحب البيت !

ليتهم يعلمون أنهم يعيشون فى دائرة من ذهب . ضربها الذين يستنزفون الكنوز ويكبتون الشعور .

على أننا - والحق يُقال - لا نتفق مع الأحرار الذين يطلبون من المسرفين الاقتصاد .. إنهم لا يستطيعون الاقتصاد مهما حاولوه ، لأنَّ كل ما يناله شخص من مال الأمة دون أن يُقدِّم لها تعباً وجهداً . هو مال خبيث .

والخبيث - كما يقول الإمام علىّ - لا يُنفق إلا فى السرف !

وهكذا تنفق بعض هذه الأسر ما يدنيها من تخمة الموت ، وتضع ما بقى أمانة فى صناديق : « الثعلب الأمين والثعبان التقى » !

نعم .. إنَّ ما أعترف به الثعالب والثعابين كحصة للكويت - مثلاً - مئة مليون جنيه إسترليني .

ولكن الثعالب والثعابين الذكية الواعية الشريرة .. لا تدفع تلك القيمة كاملة للكويت .

إذ تخشى أن تنسى الأسرة المحظوظة ، الشروط والوصايا المقدسة ، وتنفق جزءاً ضئيلاً في صلاح مستقبل الكويت .

ولذا تُعطى رب الأسرة المحظوظة وحاشيته وأسرته وبطانته ، ومَن أتقن فن البصبصة ، ثم تضع ما فاض أمانة في صندوقها .

وما أشد أمانة الثعالب والعقارب !

أجل أمانة ، إذ لعائدات « الكويت » و « قَطَر » و « البحرين » لجنة مؤلفة من ثلاثة إنجليز (طبعا ذوى أمانة مثل كل الإنجليز اليهود) .

مركزها المدينة المقدسة « لندن » عاصمة التيجان ومزرعة الجلالات والسمو والسعادة وبقية الألقاب ..

ووظيفتها توجيه جميع الذين بيدهم العائدات ، للإنفاق بطريق لا يعود على عربى أو مسلم إلا بجرعة سموم !

لعَمرى ، هل تستطيع الأُسر المحظوظة ، مخالفة الشروط والوصايا ؟

وكيف تستطيع ، وقد أقامت الثعالب والعقارب لكل فرد من تلك الأُسر أخصاماً ومعارضين ، لتهدده بالتنكر له إن خالف توجيهها ؟

أما ما تُنفقه لجنة الأمناء على مناطق النفط من أسهم العائدات ، فيتولى إنفاقه مستشارون إنجليز ، ينفقون لصالح المنطقة العام ما ينفقه العدو اللئيم ، لصالح عدوه الغافل .

وهكذا بوركت أموال الإمارات المجمّدة .

فأصبح للكويت وحدها فى مصارف لندن نحو سبعمائة مليون جنيه إسترلينى .

رحم الله الفقير المعدَم الذى يتمنى لو وجدنا أتاناً أو نعلاً .

ورغم هذا يمسح شاربيه قائلاً : « لى مال محفوظ عند الأمناء ، لو شئت لأصبحتُ ثرياً »

* * *

obeikandl.com

الكبت بين أدب التربية ومناهج الانحلال

كثر الحديث بين المثقفين عن أضرار « الكبت » .

وأخذ المشتغلون بشئون التربية يعالجون علل الأجيال الحديثة على أنّ « الكبت » سبب ما نرى بها من انحراف .

ثم إستقر الرأى - أو كاد - على أنّ محاربة الكبت لا بد منها لبناء مجتمع سليم ، وإيجاد حياة بعيدة عن العُقَد والالتواءات . !

ونحن نريد أن نناقش هذا الكلام ، وأن نتعرف الحدود التى ينتهى إليها ، والمعانى التى تكمن فيه .

إنّ الكبت هو حبس الرغبات التى تجيش فى النفس ، وإيصاد المنافذ أمامها حتى لا تجد متنفساً تخرج منه .

ولا شك أنّ كف النفس عما تهوى أمر يصعب عليها وتحس معه العَنَت !

فكيف تعالج هذه الحال ؟ أتعالج بإرخاء العنان لها وإجابتها إلى كل ما تريد ؟

يبدو أنّ ذلك هدف بعض الناس !

فالأسلوب المقبول لديهم فى « التربية » ترك النفوس على سجيتها ، ومنح الغرائز حرية السكون والحركة لتخط لنفسها المسلك الذى تحب دون حذر أو ضغط أو اعتراض .. !!!

ولا يسعنا إلا أن نتساءل : إذا كان هذا برنامج « التربية » الرشيدة فما يكون برنامج « قلة التربية » ؟؟

إنّ علماء النفس عندما شرحوا ناحية السلوك فى الغرائز الإنسانية قالوا : « يمكن أن يُغَيِّر مجرى الغريزة فى نزوعها الأخير ، إما بالتسامى ، أو بالتعديل ، أو بالكبت » .

ويقصدون بـ « التسامى » ربط الغرائز بمُثل عليا تهيج لها وحدها وتخمد عند فقدانها .

ويقصدون بـ « التعديل » إشباع الغريزة بمظهر فيه العوض عما تبغى لأنَّ حاجتها الأصيلة لا يمكن قضاؤها .

فإن عَزَّ هذا وذاك فليس إلا « الكبت » ...

فنأخذ مثلاً « الغريزة الجنسية » .. إنها حقيقة لا يمكن تجاهلها .

وتطلع البَشر إلى إشباعها بالحق أو بالباطل ، من الحلال أو من الحرام أمر مفترض ، ولا بد أن يُحسب حسابه .. فما العمل ؟

الحل الذى ارتضاه اللّه ، واستكانت إليه الإنسانية هو الزواج .

وهو اللون الوحيد من السلوك الذى يُقبل فى إجابة هذه الطبيعة العامة .

فإذا لم يتيسر هذا الحل ، فهناك التسمى بالغريزة .

ويقضى هذا التسامى بمنع صنوف المثيرات التى تعترض الشباب وتستفز الشهوات النائمة استفزازاً ، وتُزيِّن لها السقوط تزييناً .

ثم شحن أوقات الفراغ بصنوف من الشواغل المعنوية والأعمال المادية والأعباء الحيوية .

ثم إمتاع هذا الشباب بفنون التسلية الرفيعة يتبدد فيها لهب الغرائز وتخف حدتها إلى أن يُستطاع تيسير الزواج ، وتقريب الحل الذى ترى فيه النفس ربها الكامل .

قد يُقال : ليس فيما قلته كبير فائدة !

فلا الزواج بميسور ، ولا هذا التسامى بمغن ، وسيصير الشباب - حتماً - إلى الكبت الذى يُفسد أخيلتهم ويُمرض أمزجتهم !

وهذا الكلام ينطوى على مغالطات فاحشة .

فإنَّ الكبت عنصر لا بد منه فى كل تربية سليمة .

والقول بأنَّ النفس تُجاب إلى كل ما تشتهى لا يمكن تعميمه لا فى عالَم الإنسان ولا فى عالَم الحيوان .

هبْ رجلاً أحب زوجة آخر .

أيُنصح بمعاشرتها تجنباً لآلام الكبت ؟ أم يُقال له : إلزم حدود العفاف وضوابط الأدب واكظم على ما فى نفسك من اشتهاء حرام !!

إنَّ الكبت يكون فريضة دائمة - ما دامت الحياة - إذا تطلعت النفس إلى ما يستحيل تحقيقه ، ويكون فريضة موقوتة إذا عرضت ظروف خاصة .

وتصوير الكبت على أنه مثار كل عوج كذب على العلم .

وإغراء الأولاد على الاسترسال مع جماح الهوى ، أو مع حرية الإرادة - كما يقولون - لن يخلق جيلاً محترماً من البشر ، بل سيخلق أجيالاً واهنة العزيمة ، سريعة إلى الجريمة ، لا نفع منها ولا خير فيها ...

* * *

نحن نعرف أنَّ الحرمان الدائم له معقبات سيئة ، وأن إعلان الحرب على الغرائز البَشرية - بُغية استئصالها - يتبعه رد فعل شنيع .

ذلك أنَّ اللّه لم يخلق هذه الغرائز لتُكبح وتموت ، بل لتحكم وتؤدى وظيفتها فى الحياة على صراط مستقيم .

ومن قديم عرف « علماء التربية » أنَّ التوسط هو الفضيلة .

فإن كانت البطنة شراً ، فلن يكون الجوع خيراً .

ورياضة النفس بالتجويع ربما كانت أسوأ - فى عقباها - من البطنة كما قال البوصيرى :

واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرُبَّ مخمصة شر من التُخَمِ

ولكن الذى قال هذا فى التخويف من آثار الكبت قال :

والنفسُ كالطفل إن تُهمله شَبَّ على حُبِّ الرضاع وإن تفطمه ينفطمِ

وقريب من هذا قول الشاعر :

والنفس طامعة إذا أطعمتها وإذا تُردُّ إلى قليل تقنع !!

والكبت فى أحوال كثيرة قد يكون تسليط الإرادة البصيرة على طبيعة عمياء ، أو الإيثار العالى على أثرة صغيرة ، أو تغليب العدالة والحرمان على الظلم والخطف ، أو الشرف والكرامة على الدنايا العاجلة !!

فكيف يُعاب الكبت فى هذه المواطن كلها ، وكيف يزعم زاعم أنَّ إنشاء الأجيال الجديدة يجب أن يُراعَى فيه عدم الكبت ؟

أخشى أن يكون عدم الكبت هذا أقصر طريق لخلق طوائف من الأنعام لا طوائف من الآنام !!!

إنَّ الرجل يقف فى ميدان القتال فيهيج فى دمه حب الحياة ، ويود لو نجا من منظر الموت الكالح .

أفنقول له : لا تكبت هذه المشاعر وفُرَّ ؟

أم نقول له : دُس هذه الهواجس تحت قدميك واثبت ولو فقدت الحياة ، واقتد بالأبطال الذين يقنعون أنفسهم فى هذه المجالات بذلك الرد الوحيد ؟ ..

أقول لها إذا جشأت وجاشت مكانكِ تُحمدى أو تستريحى !!

إنَّ الحملة المجنونة على الكبت أوجدت شباباً طرياً ورجولة زائفة لا صبر لها على شئ . وأوجدت منطقاً يستبيح كل شئ بحجة الحاجة فحسب !!

وفى ميدان الغريزة الجنسية رأينا تعمد خلط الرجال بالنساء فى ظروف مريبة وملابسات سيئة ... لماذا ؟ منعاً لأضرار الكبت !!

وليت شعرى لماذا نُحرِّم على الإنسان سرقة « بدلة » يشتهيها ، ولا نُحرِّم عليه سرقة عِرض يلغ فيه بالباطل ؟

إذا كانت الحاجة حُجَّة محترمة مقبولة لأن « الكبت » وخيم العاقبة ، فلماذا لا يُعمم هذا المنطق فى شئون الحياة كلها ، بدل وقفه على الناحية الجنسية وحدها ؟

إنَّ أخذ النفس بالشدة واجب فى ظروف لا حصر لها .

وتكليفها بحمل المشاق وتجرع المر ، واحتمال الصعاب هو السبيل الوحيدة لإحراز النجاح وبلوغ القمم .

وتاريخ العظمة الإنسانية فى شتَّى الميادين هو - فى الحقيقة - تاريخ لسلسلة من الكبت الموصول ، والتعب المستمر ، والتضحيات بالرغبات العاجلة !!

وانظر إلى هذى الأبيات من حِكَم العرب :

يقولون : هذا مورد . قلت : قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما !

* * *

بصرتُ بالراحة الكبرى فلم أرها تُنَال إلا على جسر من التعب

* * *

لا يُدرِك المجدَّ إلا سيدٌ فطن لما يشق على السادات فعال

* * *

فجاشت إلى النفس أول مرة فردَّت على مكروهها فاستقرت

والواقع أنَّ الإسلام لم يكن بدعاً فى شق طريق الإيمان وسط زحام من الأهواء المغلوبة والشهوات المكبوتة .

نعم .. وسط الجهاد الصارم والكفاح الدائم والبطولة التى تهزم وساوس الشر وهواجس الإثم بسلاح من تقوى الله وحُسن مراقبته .

ولذلك يقول الرسول ﷺ : « حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات » .

الجنة المحفوفة بالمكاره ، وهى ككل قمة فى ميدان العلم أو الأدب أو الحكم أو الحرب ، أو الإنتاج .

لا يمكن أن تُنَال بالدعة واللَّذة ، ولا أن تُدرك بما يرسمه السفهاء من محاربة الكبت وإطلاق الطبائع الحيوانية تعربد كيف تشاء .

كلا .. إنها تُنال بالعفاف والخُلق والصبر .

ولا تُنال بغير هذا من رخاوة وطراوة وعدم كبت ...

إنَّ الجيل الجديد المدلَّل الذى نشهد الآن تكوينه ، لا يصلح لدين ولا لدنيا .

وكيف يظفر بهذه الصلاحية مَن يجعل هواه قانوناً ومشتهياته تقاليد .

لا لشئ ، إلا لأنَّ التربية - فى نظره - يجب أن تبتعد عن أساليب الكبت والقلق والخوف والتعب ؟

إنَّ التربية الصحيحة لا بد فيها من تحمل الكبت ومواجهة التعب .

ولا بد فيها كذلك من اقتران الرغبة بالرهبة ، واللَّذة بالألم .

إننا لا نوصى بالعنف حيث يجف اللُّطف ، وما ينبغى الجنوح إلى الشدة ما دام للتوجيه الرقيق مجال .

بَيْدَ أنَّ القول بإبعاد القسوة عن ميادين التربية كلها أمر يصادم الطبيعة الإنسانية نفسها .

ونحن الآن نجنى العلقم من هذه الآراء المرتجلة أو المنقولة إلى غير موضعها .

ففى أسبوع واحد وقعت ثلاث جرائم ، قتل وشروع فيه !!

ارتكبها التلامذة ضد أساتذتهم الذى حاولوا منعهم من الغش فى الامتحان !!

كيف وقع هذا ؟

إنها نتائج محتومة لترك الحبل على الغارب .

إنها الثمرات التى لا بد من جناها بعد ما تركنا شئون التربية لكُتَّاب الروايات الغرامية أو صُنَّاع المشكلات الجنسية ، أو نقلة الأفكار الأجنبية .

إنَّ الذين تَخرَّجوا من الكتاتيب القديمة أشرف نفوساً وأنبل طباعاً وألين عريكة وآمن على المصالح الخاصة والعامة من أُولئك الذين خَرَّجتهم الأساليب الحديثة ، وصنعهم سياسة محاربة الكبت .

نعم .. كانت عصا الفقيه الجاد المؤمن أجدى من تدليل هؤلاء الذين مسختهم أفكار « فرويد » فما أحسنوا فهمها ولا أحسنوا تطبيقها .

ولقد تتبعتُ المقالات والتعليقات التى كتبها الصحافيون بعد مقتل الأستاذ على يد تلميذه .

فراعنى أنَّ أغلبها يتناول القضية المؤسفة ، وكأنه يعتذر للتلميذ القاتل أو يختلق لفعلته الأسباب المسوِّغة .

ومن أعجب ما قرأت قول « سكرتير المجلس الأعلى للفنون والآداب » :

إنَّ الكبت الجنسى هو سر هذه الجرائم . أى أنَّ هذا الشاب القاتل - وعمره ثمانى عشرة سنة - لو وجد فتاة يزنى بها ما غرز سكينه فى عنق المدرس المسكين !!

وأنا لا أحكى هذا الكلام الفارغ لأناقشه . فالأمر أنزل رتبة من أن أتناوله برد .

ولكن الذى أدهش له كيف يُباح لكل مَن هَبَّ ودَبَّ أن يخوض فى آفاق التربية بهذه الجراءة ، وأن يلطم وجوه المصلحين بهذه الآراء ، أو بهذه السخافات ؟؟

إنَّ هناك كُتَّاباً ، حِرفتهم الوحيدة حِداء الغرائر السوء فى بيداء الحياة .

يقوونها إذا ضعفت ، وينشطونها إذا كسلت .

فهل أولئك أمناء التربية فى بلادنا ؟

واللّه لو أن آلامنا جاءت من قيود الكبت لبادرنا إلى علاجها وفك الناس منها ، لكن مصائبنا جاءت من فوضى الانطلاق .

فكيف يُعالَج السكر بمزيد من الخمر ؟

ألا فلنعد إلى رباط الفضائل ، نحزم به أمورنا ، ونوثق به شئوننا قبل أن يفوت الأوان ..

* * *

ثم إنَّ انحلال العزائم تحت ضغط الشهوات المتاحة والرذائل المستباحة ، تبعه انحلال آخر فى الأفكار والآراء .

أى أنَّ الميوعة الخُلُقية صحبتها ميوعة عقلية لا تقل عنها نُكراً .

فترى أحلاس اللّذة الموجودة ، أو المنشودة ، مصابين بنوع من البلادة الذهنية يُسوِّل لهم الحكم على الأشياء بتخبط ظاهر وقلة اكتراث ...

أهو العجز عن التصور الصحيح ؟

أهو الكسل عن دقة البحث وحسن الفهم !

ربما كانت العلّة هذا أو ذاك ... وربما كانت استواء الخطأ والصواب عتد هؤلاء المرضى بقلوبهم وعقولهم .

فترى الواحد منهم لا يهتم بتمحيص قضية ما من قضايا الدين والدنيا لأنه يقول : هَبْ النتيجة كذا أو كذا !! ماذا يعنينى ... !

إنَّ الذى يعنيه شبع بطنه ، وارتواء فرجه ، وفراغ باله .

واليوم خمر ، وغداً خمر أيضاً !!

والأجيال التى تُقاد من أهوائها ، كالدواب التى تُقاد من أرسانها ، لا قيمة لها . !

وأولى العلل فى مجتمع من هذا القبيل التافه هى النفاق ، النفاق الخسيس المزرى .

الرجل يغشى هذا المجلي برأى ، ويغشى ذلك المجلس برأى آخر .

بل إنه تحت بواعث الرغبة والرهبة يُغيِّر رأيه فى المجلس الواحد التماساً للرضا تارة وإتقاءً للسخط تارة أخرى ...

وما دامت الأفئدة خواء من العقيدة فإنَّ النفوس تتلوَّن تلون الحرباء تبعاً للجو الذى يحتويها .

ولا أحسب الفساد السياسى والاجتماعى يطلب لنفسه أمثل من هذا الجو ليبيض ويفرخ .

وقد شاع النفاق فى كل ناحية شيوعاً يبعث على الأسى .

بل لقد كثرت صوره حتى جعلت بعض الساخرين الظرفاء يتندر بطرافتها . وفى ذلك يقول الشاعر محمد مصطفى حمام :

ما دمـــت فى جنة النفـــاق ... فاعــدل بســاق ومِـلْ بســاقِ
ولا تقـــارب ولا تباعــــــــد ... ودُرْ مــع الثـور فى السواقى
وضاحك الشمس فى الدياجى ... وداعِـب البـــدر فى المُحــاقِ
ولا تُحقِّـــق ولا تُــدقِّـــــقْ ... وانســب شآماً إلى عــــراقِ
وقُـــلْ كـــلاماً بغير معنى ... واحلـــف على الإفك بالطلاقِ
ولا تُصـــــادق ولا تُخاصـــم ... واستقبل الكــل بالعنـــــاقِ
فأىُّ شخــص كـأىِّ شـخـــص ... بـــلا اختـــلاف ولا اتفــاقِ
وأىُّ شــئ كـــأىِّ شـــــئ ... ما دمتَ فـى جنَّة النِفـــاقِ

* * *

ونحن نعوذُ باللّه من جنَّة النِفاق هذه .

ونريد لأُمتنا مجتمعاً يتسم بالصرامة والصراحة ، وتزدهر فيه أخلاق الإيمان وشمائل الرجولة ....

مجتمعاً يُحق الحق ويُبطل الباطل ، وينصر الفضيلة بقوة ، ويخذل الرذيلة بقوة .

ولا يدارى فى تقبيح الفسوق ، ولا ينكص عن تحبيبه العابثين .

ويستحيل تكوين هذا المجتمع إلا من معالِم الإسلام ، الذى يكبت الأهواء ويعرف المعروف وينكر المنكر ... ! ! !

* * *

obeikandi.com

الخاتمة

● كلمة صريحة :

ماذا يكسب الصليبيون من إصرارهم على السياسة الحاقدة التى انتهجوها ضدنا ، سياسة تمويت الإسلام ومخاصمة أهله ؟

إنهم لم يكسبوا لأنفسهم خيراً ، ولا العالَم استفاد من هذه الخطة الجائرة غير البغضاء وتواصل الحروب .. ! !

لقد غبرت عليهم أربعة عشر قرناً وهم يفترون على الإسلام الكذب ، ويضعون أمام دعاته السدود ، ويُعملون فى رقاب أهله السيف إذا أسعفتهم القوة ، وينسجون لهم الدسائس إذا أعجزهم الضعف .

فماذا جنوا بعد هذا كله ؟

لا الإسلام مات ، ولا قرآنه باد ، ولا أمته هلكت .

حقاً .. إنَّ الهزائم فى العصر الأخير خدشت كرامته ، وحطَّت مكانته .

لكن ذلك لم يلحق بالإسلام من غلب النصرانية عليه ، أو سبقها إياه .

وإنما لحق الإسلام من تفريط بنيه فى حقه ، وغرورهم بطول انتصاره ، وسلامة مبادئه .

وهم مستأنفون سيرهم به لا محالة اذا تابوا من تقصيرهم ، وثابوا إلى رشدهم .

إنَّ سياسة تمويت الإسلام سوف تفشل برغم ما حُشِدَ لإنجاحها من وسائل عظيمة .

ولن يكون حظ الصليبية الجديدة أسعد من حظ زميلتها القديمة ، وإن طال المدى .

ولو عَقَلَ الأوروبيون والأمريكيون لراجعوا أنفسهم ، وتراجعوا عن مظالمهم ، وانسحبوا - فى هدوء وأدب - من بلادنا التى يحتلونها الآن ، ويغمرونها بأفكارهم الخاطئة ، وسلوكهم الشائن .

إنهم - فى إصرارهم على قتل الإسلام مع ما يريدون من سطوة الإلحاد فى الأرض - يُقدِّمون للشيطان أعظم العون ، ويُمهِّدون الطريق لاستيطان الفجور ، واستكمال الباطل .

أيها الناس .. دعونا نؤمن بربنا وكتابنا ، ولكم دينكم ولنا ديننا .

لقد وصفتمونا بأننا خصوم المسيح - كذبتم - فما وَقَّرَ المسيح أحد مثل ما وقَّرْناه .

واللّه يعلم - والدنيا تشهد - أنكم أعنتم اليهود علينا ، وفرشتم جثثنا لنعالهم ، وهدمتم دورنا لسكناهم ، وشردتمونا بالعراء لإيوائهم ... وهم ... اليهود ... الذين يقولون فى عيسى وأمه ما تعلمون .

إنَّ ضغائنكم علينا تُعيى العقول .

ثم ماذا أيها الناس ؟ زعمتم أنكم تحاربون الشيوعية لأنها كفر باللّه .

فهَّلا هادنتم الإسلام أو تركتموه ينهض بواجبه فى صون تراثه وذياد الإلحاد عن حقيقته ... ؟

إنكم لم تفعلوا شيئاً من ذلك .

إنكم أوهنتم قُوَى الإسلام ، حتى تأكد لنا أنَّ انتشار الشيوعية فى الأرض أحب إليكم من بقاء الإسلام مُعافى ، ومن بقاء أمته موفورة .

إنكم - للأسف - تكرهون الإسلام أكثر مما تكرهون الشيوعية ، وتتمنون الخبال والذُّل لأمته أكثر من أى شئ آخر . فَلِمَ ذلك ...؟

فى بلادنا الآن أمواج متلاحقة من تمرد الشباب ، وخلاعة النسوان ، واطراح الفرائض ، ونبذ الصلاة والزكاة ، والجرأة على اللّه وحدوده .

فمن أين أتت هذه المفاسد ؟

إنها من صنعكم أنتم .

من عواصمكم أقبلت ، وعلى أيدى رجالكم امتدت .

إنَّ الكفر باللّه ، والاستهانة بالوحى ، جاءا من « لندن » و « باريس » و « هوليود » قبل أن يجيئا من « موسكو » .

ونحن - و للّه المنّة - أقدر منكم على مطاردة الإلحاد الأحمر والأصفر بما بقى لنا من مواريث ، وما سلم لنا من عقائد .

وكلمة أخرى إلى المؤمنين الأيقاظ ، والمكافحين الأحرار :

إنَّ الصراع بيننا وبين الاستعمار لما يدخل بعد دوره الحاسم .

ذلك أنه طُرِدَ من أقطار شتَّى ، ولكن مخلفاته - وهى أخطر منه - بقيت تؤدى رسالتها ، وتُكمل ما بدأ به وأعجلته الأيام عن اتمامه .

فاحذروا مخلّفات الاستعمار .

احذروا هذا الصنف من الناس الذين احتل الاستعمار قلوبهم وعقولهم ، ولم يخرج منها إلى الآن .

احذروا هذا الصنف الذى يكره دينه ، لأن الاستعمار بغَّضه إليه .

ويجهل تعاليمه ، لأن الاستعمار صرفه عنها .

ويثرثر بكلمات فى الإصلاح ، وفى القضايا العامة ، لا وزن لها ولا قيمة ، لأنه ببغاء ، يُحسن الترداد ولا يعقل شيئاً .

إنه عبد فى صورة حُر .

وذَنَب فى سمت سيد .

وجاهل فى إهاب متعاقل .

احذروا هذا الصنف وإنكم لواجدوه فى كل مكان .

فى المهندسين ، والمحامين ، والأطباء ، والمدرسين ، وفى الصحافيين ، والمذيعين والموجهين ، بل كذلك فى نفر من علماء الدين .

إنَّ التحرر الحقيقى أن نغسل بلادنا من أدران الاستعمار بعد أن يجلو الاستعمار عن كل شبر فيها . وأن نستأنف القيام برسالتنا العتيدة فى العالم دون عوج أو انحراف .

* * *

obeikandl.com

محتويات الكتاب

الصفحة

مقدمة الطبعة الخامسة ٣

مقدمة الطبعة الرابعة ٥

التعاون بين الإسلام والمسيحية

(١٥ - ٩٠)

التعاون بين الإسلام والمسيحية ١٥

حكومات مسيحية لشعوب مسلمة ٣٩

ذئاب الحبشة تنهش الإسلام ٦٠

ليست الصليبية ولا الصهيونية ديانات ٨٢

اتجاه الصليبية الحديثة

(٩١ - ٢١٠)

اتجاه الصليبية الحديثة ٩١

الإسلام طريد القانون الدولى ١٠٤

برنامج للارتداد ١٠٨

معنى انتشار الإسلام ١١٨

حول الخلافة الغاربة ١٣٠

تحقير الإسلام فى بلادنا ١٤٢

إضعاف الوازع الدينى ١٤٨

بيوت العبادة ١٥٩

obeikandl.com

الصفحة

الموظف النموذجى ١٧٤

صحافيـون شرفاء ١٨٠

حول إصلاح قوانين الأحوال الشخصية ١٩٧

ضجة مفتعلة ينكرها الدين والواقع ٢٠٤

ثقافة مهجورة

(٢١١ - ٢٥٠)

تعليـم دميم الوجه ٢١١

الجامع الأزهر ٢٢٥

فى عالم الملّذات

(٢٥١ - ٣٠٥)

حب الدنيا وكراهية الموت ٢٥١

الإذاعـة والفن ٢٦٤

جراثيم العفن الخُلُقـى ٢٧٧

ضبط النفـس ٢٨٤

ملوك وأُمراء وشاهات الذهب ٢٩٢

الكبت بين أدب التربية ومناهج الانحلال ٢٩٧

الخاتمة - كلمة صريحة ٣٠٦

محتويات الكتاب ٣١٠

* * *

obeikandl.com

رقم الإيداع
١٩٩١ / ٣٨٠٣
الترقيم الدولى
I . S . B . N . 977 - 225 - 012 - 8

obeikandl.com